العقيدة العسكرية

الخصائص والتكوين

تأليف: أحمد خليل

مركز الخطابي للدراسات

alkhattabirw

العقيدة العسكرية

الخصائص والتكوين

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1444هـ / 2023م

الآراء التي يتضمّنها هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن وجهة نظر مركز الخطابي للدراسات

العقيدة العسكرية

الخصائص والتكوين

تأليف

أحمد خليل

الطبعة الأولى

1444هـ / 2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص

إن العقيدة العَسكَرِيَّة هِيَ مجموعة الأفكار التي ثبتت صحتها وجرى اعتمادها بِشَكْلٍ رسمي، لتصبح عبارة عن إرشادات وأدلة وأساسيات ينطلق منها الجَيش لخوض الحرب.

إنها مزيج بين العلم والفن، بين المعرفة والإبداع، بين دروس الماضي وصراع الحاضر وفرص المستقبل، ولأنها كذلك؛ فلا يمكن تطبيقها حرفياً، كما لا يصح إطلاق يد المجتهدين فيها. إنها تواكب التغيرات في الحرب -والحرب من طبعها التقلب والتبدل- لكنها في المقابل تحافظ على ثباتها نسبياً، بل إن إقامتها تقتضي المزج بين الانضباط والحكمة، وَهِيَ من جهة أخرى ترشد الخطط والتدابير العَسكَرِيَّة وليست بديلاً عَنْهَا.

تقدم العقيدة العَسكَرِيَّة للقوات المُسَلَّحَة منطلقاً مشتركاً لفهم طبيعة الصراع الحالي، وتصنع لغةً موحدةً تسهِّل عَمَلِيَّة التواصل والإرشاد والتوجيه، كما أنها تضع بين أيدينا دليلاً واضحاً لاستخدام القوة بطريقة صحيحة، وإن هَذِهِ الخصائص لتعزز فاعلية الأفراد وتساعدهم على الإبداع والمبادرة.

لن تكون العقيدة صحيحة دون استقصاء شامل لمجموعة من المدخلات المتغيرة على مستوى البيئة الخارجية والداخلية، إنها ترتكز أساساً على تحليل عميق لطبائع الأعداء والتهديدات المتوقعة، وطبيعة التضاريس والمناخ والتوزع السكاني والديمغرافي، والتقدم التكنولوجي، وتوزع البنى التحتية والثقافة المحلية. إضافة إلى النظر في عوامل داخلية أخرى، مثل التراث التاريخي للأمة والمعتقدات الدينية والنظريات العلمية الحديثة والسِّيَاسَة الحكومية وطبيعة القُوَّات الصديقة والحليفة. فَكُلّ هَذَا لَهُ أثرٌ مباشر في طريقة خوض الحرب.

يمكن تقسيم العقيدة العَسكَرِيَّة إلى ثلاثة عناصر: الأساسيات، الفروع الرئيسية ثُمَّ الفروع الثانوية، وتحصل صياغة العقيدة بالإجابة عن الأسئلة المتعلقة بِكُلِّ عنصر من هَذِهِ العناصر.

Abstract

The military doctrine is a set of proven-right ideas and officially authorized, so they had been guidance and foundations, an army to follow to fight.

It is a mixture of science and art, knowledge and creation, past lessons current conflict, and future opportunities. since it cannot be literally applied, and to the same extent individual ideas cannot be allowed to apply. It keeps up with changes in warfare -warfare is a changeable characterized- but in turn, it stays relatively stead, moreover to conduct it you need both discipline and wisdom. On the other hand, it guides the military plans but does not replace them.

The military doctrine provides a joint starting point to understand the nature of current conflict and make a unified language, that makes communication guidance and direction. Moreover, it offers us a clear manual to use power correctly, since these properties could reinforce the individuals and help the to go initiative and creative.

The military doctrine would not be correct unless it depends on throughout investigation of some variable inputs on the internal and external levels, it essentially relies on a deep analysis of the enemy's characters, anticipated threats, the nature of the terrain, the weather and demographic distribution, technology progress, and infrastructure and local culture. As well as studying other local factors, such as the historical heritage of the nation, religious beliefs, modern scientific theories, governmental policy, and the nature of friend and allied forces. Since that, all have an immediate impact on the way warfare may be fought.

The military doctrine could be divided into three elements: essentials, the main branches, then the secondary branches, and the form of military doctrine could be gotten by answering the questions of every element of these

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد...

نظم مركز الخطابي العديد من الندوات الحوارية حول مفهوم العقيدة العَسكَرِيَّة وخصائصها، فاتضح أن الآراء حول هَذَا المفهوم كانت متباينة جداً إلى درجة يصعب التوفيق بينها، أو متداخلة ومتشابكة حَتَّى أنك تعجز عن تمييز خصائصها وفروعها. والحقيقة أن هَذِهِ الندوات رغم أنها لَمْ تقدم لي إجابة شافية، إلا أنها شحذت عزيمتي وشجعتني على البَحْث أكثر فأكثر، ودفعتني إلى التعمق في أغوار هَذَا الموضوع، ودراسته من مختلف جوانبه، فاتجهت إلى المكتبة العربية ثُمَّ الأجنبية، وجمعت مَا فيها من دراسات سابقة في هَذَا الباب، ليكون هَذَا الكتاب ثمرة جهودٍ طويلة ومضنية من البَحْث والاستقراء والتحليل والنقد.

تكمن أهمية هَذَا البَحْث في كونه يقدم مرجعاً علمياً للأمة الإسلامية يتناول موضوعاً حساساً جداً، موضوعاً أصبح دندنة القوى الثَّوْرِيَّة الصاعدة، خاصة مع تنامي قوتهم العَسكَرِيَّة ومشابهتها في كثير من الجوانب للجيوش الحديثة. لقد أصبحت الحاجة ملحةً لاعتماد عقيدة عسكرية في الجبهات الثَّوْرِيَّة المتقدمة، مثل سوريا وغزة وأفغانستان، لأن وجودها سيكوِّن منهجاً مشتركاً، ولغة موحدة بين القُوَات العَسكَرِيَّة، وفهماً منضبطاً لطبيعة الصراع، ومن خلالها ستتمكن القِيَادَة العَسكَرِيَّة من توجيه القُوَات، مِمَّا سيعزز فاعلية الجنود والقادة ويشجعهم على المبادرة.

يكاد يكون هَذَا الكتاب المرجع العربي الوحيد الَّذِي يحدد مفهوماً واضحاً ومنضبطاً للعقيدة العَسكَرِيَّة، فيرفع عَنْهَا الالتباس والإبهام والغموض الَّذِي أحاط بِهَا، ويقدم نموذجاً

عملياً قابلاً للتطبيق، تنطلق منه القوى الثَّوْرِيَّة لفهم هَذَا المصطلح أولاً، وتدريسه وتعليمه ثانياً، وصياغة عقائدها العَسكَرِيَّة ثالثاً، وَهُوَ الأثر الأهم الَّذِي نسعى إليه.

بالعودة للأبحاث السابقة، وجدت أن معظم الكتب العربية التي تناولت العقيدة العَسكَرِيَّة لَمْ تشمل كُلّ جوانبها، وكانت مقتصرة على استنتاج العقيدة العَسكَرِيَّة من الدين الإسلامي، فَهِيَ أقرب مَا تكون للعقيدة الدينية منها للعسكرية، كما أنها تخلط أحياناً بين العقيدة العَسكَرِيَّة وفقه الجهاد، إذ تضع أحكام الفقه موضع الاعتقاد، من ذَلِكَ كتاب "العقيدة العَسكَرِيَّة الإسلامية، دراسة ومنهج ومقارنة"، لأحمد حسن، وما ورد عن العقيدة في كتاب "العَسكَرِيَّة العربية الإسلامية" لمحمود شيت خطاب، وكتاب "نظرية الإسلام في العقيدة العَسكَرِيَّة" لمحمد جمال الدين محفوظ...إلخ

لكن الجدير بالذكر أنني وجدت بعض المحاولات المحمودة قد حاولت الإحاطة بِهَذَا المفهوم بدقة، مثل كتاب "مفهوم العقيدة العَسكَرِيَّة وحكمها ومصادرها" لرفيق أبو هاني، ورغم أن صاحب الكتاب أحسن في تحديد مفهوم العقيدة العَسكَرِيَّة في بداية مصنفه، لكنه بعد ذَلِكَ لَمْ يوفق في ذكر مصادرها وخصائصها لِأَنَّهُ اقتصر أيضاً على الاستنتاج الديني، دون العودة إلى المصادر الأخرى مثل التاريخ والجغرافيا والتكنلوجيا والديمغرافيا وغيرها من العوامل المؤثرة في تكوين العقيدة العسكرية.

وهُنَاكَ أيضاً محاولة جادة أخرى ينبغي ذكرها هُنَا، وَهِيَ لطارق محمود شكري في كتابه "العقيدة العَسكَرِيَّة وتطوراتها"، فقد أحسن عِنْدَمَا تحدث عن منطلقات العقيدة المتنوعة بأبعادها التاريخية والجغرافية والديمغرافية، وكَذَلِكَ عِنْدَمَا نبَّه أن العقيدة تؤثر على العديد من المجالات الفرعية مثل التسليح والتنظيم والتدريب، لكنه رغم ذَلِكَ لَمْ يشفِ الغليل في تحديد مفهوم واضح للعقيدة العَسكَرِيَّة، بل اكتفى باعتماد المفهوم الأَمْرِيْكِيّ دون مناقشة أو نقد.

من جهة أخرى، وقفت على كثير من المصادر الأجنبية المفيدة، من بينها وثائق العقيدة العَسكَرِيَّة للاتحاد الرُّوسِيّ، لكنها وثائق مختصرة تعبر عن العقيدة الرُّوسِيَّة الرَّسْمِيَّة الحالية، ولا تتناول مفهوم العقيدة العَسكَرِيَّة كموضوع مستقل بذاته، فلم تذكر هَذِهِ الوثائق المصادرَ التي تُستمد منها العقائدُ العَسكَرِيَّة، ولَمْ توضح أهمية العقيدة ودورها في الجيوش، كما لَمْ تذكر شيئاً عن صياغتها وتكوينها.

ومن المصادر الأجنبية الجديرة بالاهتمام: كتاب "العقيدة العَسكَرِيَّة، دليل مرجعي" لبيرت تشابمان، فقد استقرأ معظم وثائق العقيدة العَسكَرِيَّة الأجنبية، ورتبها وفق مضمونها وتطوراتها التاريخية، لكنه لَمْ يركز أبداً على تحديد مفهوم واضح للعقيدة العَسكَرِيَّة، ولَمْ يقدم لنا نموذجاً يمكنّنا من صياغتها أو تطويرها، كما لَمْ يتحدث عن منطلقاتها ومخرجاتها، وإنما فقط تكلم بالتفصيل عن المؤسسات التي تصدرها.

إضافة إلى ذَلِكَ، كانت من أَفضل المصادر التي أفادتني في هَذَا البَحْث هِيَ وثائق العقيدة العَسكَرِيَّة للجيش الأَمْرِيْكِيّ، وأهمها على الإطلاق "دليل العقيدة الأَمْرِيْكِيّ (ADP 1-01)"، فقد تناول العقيدة العَسكَرِيَّة كمفهوم مستقل، وحلل خصائصها وعناصرها، وأظهر آثارها ومخرجاتها، وتحدث بِشَكْلٍ خاص عن مكانتها في الحرب. لكنه في الحقيقة يمثل انعكاساً لوجهة النظر الأمريكيَّة دون غيرها، والتي قد لا تكون صالحةً بالضرورة للجيوش الأخرى، خاصة إن كانت حديثة النشأة ومباينةً في ثقافتها للغرب، كما هُوَ حال القوى الثَّوْرِيَّة الصاعدة في بلاد الإسلام.

أما أهمُّ الأبحاث العميقة التي تناولت العقيدةَ العسكرية بالشَّرحِ والتَّحقيق، والنَّقد والمقارنة، فهو كتاب هارالد هاوباك "فهم العقيدة العسكرية". إن هذا الكتاب ليعدُّ مرجعاً لا غنى عنه لفهم هذا المصطلح، والإحاطة بظروف نشأته وأركان كينونته، فقد بذل صاحبه جهداً عظيماً في جمع أقوال المختصين وهذَّبها ونقدها بطريقة علمية رصينة، ليصل إلى نتائج قيِّمة وفريدة،

إلا أن الكتاب فلسفيٌّ نوعاً ما، موجُّهٌ للمفكِّرين بشكل عام، ولا يقدم نموذجاً عملياً وقالباً تطبيقياً يمكن أن تنطلق منه الجيوش لوضع عقائدها العسكرية الخاصة، وهو ما سيحاول بحثنا تداركه.

وبالعموم فإن جميع المصادر التي وقفت عَلَيْهَا تشكو العديدَ من الفجوات؛ أبرزها:

1. إهمال المراجع العلمية الحديثة الاختصاصية، والانطلاق فقط من التفسيرات الدينية دون مراعاة المؤثرات الأخرى، أو العكس تماماً: نقل المفاهيم الحديثة -ومعظمها غربي- دون اعتبار خصوصيتنا كأمة مسلمة لَهَا معتقداتها الدينية وتجاربها التاريخية وطبيعتها الثقافية الفريدة.
2. معظمها لَمْ يُعيِّن مفهوماً دقيقاً جامعاً مانعاً للعقيدة العَسكَرِيَّة، مِمَّا أبقى شيئاً من الالتباس والغموض لدى القرَّاء، ولَمْ يذكر بالتحديد المنطلقات التي تُستمد منها هَذِهِ العقيدة، والعناصر التي تتكون منها بالتحديد.
3. لَمْ تقدم طريقة عَمَلِيَّة يمكن الاستفادة منها لصياغة العقيدة العَسكَرِيَّة، خاصة للقوة العَسكَرِيَّة الناشئة، ولَمْ تعطنا نموذجاً تطبيقياً محدداً يمكن الانطلاق منه.

وقبل أن نتجاوز الحديث عن الكتابات السابقة، يجدر بي التنبيه أنني لَمْ أقف على التراث العلمي لبعض الدول القوية التي تملك تاريخاً عسكرياً مهماً في الماضي والحاضر، مثل الصين أو اليابان مثلاً، فقد اكتفيت بالمصادر العربية والرُّوسِيَّة والغربية -دون غيرها- لأنها في متناول يدي، ولَمْ تسعفني قدرتي ولُغتي الوصولَ إلى غيرها. وكان على رأس المصادر الغربية؛ الوثائق الأمريكيَّة، فالولايات المتحدة هِيَ المنتج الأول في العالم لكتب العقائد العَسكَرِيَّة.

إن الهدف الأساسي من هَذَا البَحْثٍ هُوَ تلافي الفجوات التي سبق ذكرها في الأبحاث السالفة، إنني أريد تحديد مفهوم واضح للعقيدة العَسكَرِيَّة، وتبيان خصائصها ومميزاتها ودورها في الحروب المعاصرة، كما أسعى إلى اقتراح نموذج عملي يمكِّن القوى الثَّوْرِيَّة الصاعدة من صياغة عقائدها الخاصة بِهَا، وذَلِكَ عبر الإجابة على الإشكالية الرئيسية التالية:

في الواقع المتغير للساحات الثَّوْرِيَّة، وبحكم طبيعة الحرب التي تعيشها، مَا هِيَ الخطوات التي يمكن اتخاذها لكتابة العقيدة العَسكَرِيَّة؟

ولتحديد خطوات واضحة للبحث، رأيت أن أُقسم هَذِهِ الإشكالية الرئيسية إلى أسئلة فرعية تُشكل الإجابة عَنْهَا مجتمعةً إجابةً عن السؤال العام الَّذِي انطلقنا منه:

1. مَا العقيدة العَسكَرِيَّة؟
2. مَا خصائصها وفوائدها؟
3. مَا المنطلقات التي تتأثر لَهَا؟
4. كَيْفَ يمكننا تكوينها؟

إن منهجية بحثي عن المصادر هِيَ "وثائقية" بالأساس، وقد سبق الحديث عَنْهَا في الدراسات السابقة، لكنني استخدمت "المنهج التحليلي" أثناء معالجة هَذِهِ المصادر للخروج منها بنظريات علمية مفيدة، فبدأت أولاً باستقراء الحقائق العلمية في بطون المراجع، ثُمَّ نقدها وتصويبها، ثُمَّ جمعها وتركيبها لتشكيل الصورة النهائية للبحث. وقد حرصت على تضييق الجوانب النظرية والفلسفية على حساب التطبيقية والميدانية، لكيلا يطول الكتاب أو يُمَلَّ، ولأن الهدف الأساس هو تقديم مدخلٍ عن هذا المفهوم وليس مناقشة تاريخه ومذاهب الناس فيه. يمكن القول إذاً إن منهجيتي تحليلية بالعموم؛ استُخدمت فيها أدوات مختلفة مثل الاستقراء والنقد والمقارنة والتركيب.

يتكون البَحْث من أربعة فصول؛ يمثل كُلُّ فصل منها إجابةً عن إحدى الإشكاليات الفرعية. ففي الفَصْل الأول؛ سُقت عدة تعريفات للعقيدة من مصادر مختلفة، وناقشتُها ونقدتها لأخرج بمفهوم معتمَدٍ يستمر معنا طيلة البَحْث. وتحدثتُ في الفَصْل الثاني عن خصائص العقائد العَسكَرِيَّة وآثارها النافعة على القُوَات المُسَلَّحَة، بينما تناولت في الفَصْل الثالث المنطلقات التي

تسند عَلَيْهَا العقيدة وتنبثق منها. وأخيراً، بيَّن الفَصْل الرابع العناصر التي تتكون منها العقيدة، واقترح مجموعة من الأسئلة تكوِّن الإجابة عَنْهَا نموذجاً تطبيقياً لصياغة العقائد العَسكَرِيَّة.

وفي الختام، أوجِّه شكراً جزيلاً للقادة العسكريين في غرفة عَمَلِيَّات الفتح المبين، وللباحثين والمختصين الَّذِي ساهموا في إرساء هَذِهِ المفاهيم وإثارة الأفكار التي صنعت هَذَا البَحْث، فبعد توفيق الله؛ لولا تِلْكَ النقاشات الموسعة معكم، ولولا ملاحظاتكم النافعة لما استطعت أن أصل إلى مَا وصلت إليه.

أحمد خليل

20 شعبان 1444

12 مارس 2023

ما معنى "عقيدة عَسْكَرِيةٌ"؟

"تُعرَّفُ الفكرةُ المركزيةُ لأي جَيش بأنها عقيدته، ولكي تكون هَذِهِ العقيدة سليمةً؛ ينبغي أن تستند إلى مبادئ الحرب، ولتكون فعَّالة؛ يَجِبُ أن تتصف بالمرونة بما يكفي لتتكيف مع تغير الظروف. في علاقتها النهائية بالفهم البشري، فإن هَذِهِ الفكرة المركزية أو العقيدة ليست سوى المنطق السليم لأي فعل يتكيف مع الظروف".

(جون فولر – أسس علم الحرب)

إن العقائد العَسكَرِيَّة موجودة منذ القدم، شأنها شأن مختلف أبواب العلم العَسكَرِيّ، إنها متجذرة في عمق التاريخ منذ أن بدأت الدول الأولى منذ آلاف السنين قبل الميلاد بالتوسع على حساب الدول الأخرى، لكنها كانت عبارة عن أفكار وممارسات لَمْ ترتقِ إلى مستوى العلم المنظم إلا في مراحل متأخرة من عمر البشرية.

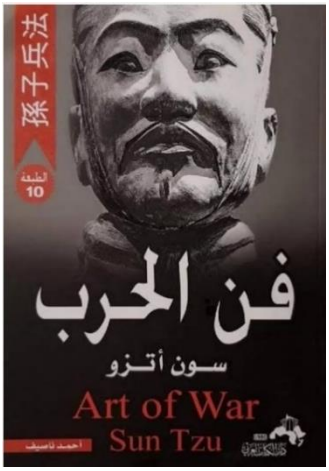

يمكن القول إن الجنرال الصيني "صن تسو" هُوَ أول من كتب في الحرب وفنونها، وبالتالي في العقائد العَسكَرِيَّة قبل أن تتميز عن سائر أبواب العلم العَسكَرِيّ، فكان كتابه "فن الحرب" الَّذِي كتبه في القرن السادس قبل الميلاد أولَ كراس على وجه الأرض تناول الحرب بمنظور علمي.

ثُمَّ تبعته العديد من المحاولات وصولاً إلى المفكرين الَّذِينَ عاشوا في القرن التاسع عشر بعد الميلاد، مثل جوميني وكلاوزفيتز وفولر، ومعظمهم تأثروا بالنقلة النوعية التي أضافها نابليون لفن الحرب خلال حروبه في القارة الأوروبية.

"عرفت الإمبراطورية الرومانية والبيزنطية، والعرب المسلمون أيضاً، الكراسات العسكرية. حيث زخرت بقايا هذه الكراسات بشذرات من القواعد المُستمدَّة من التجربة، والحيل الحربية، والحِكَم العسكرية، ومن التراث التاريخي للحرب. حتى أن بعضها يشابه "اللوائح التنظيمية بمعناها العام" وقد صدرت عن أباطرة مثل: أوغسطس وتراجان وهادريان".[1]

(هارالد هاوباك)

لكن النهضة الحقيقية التي جعلت للحرب علومَها المنظمة ومناهجَها العلمية؛ كانت مَا بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، فبعد هاتين الحربين شعرت الدول بضرورة كتابة المناهج العَسكَرِيَّة التي تنظم عملياتها وتكتيكاتها وأنشطتها الحربية، ومن هُنَا أيضاً بدأت تظهر أولى الكتابات الجادة في العقائد العَسكَرِيَّة.[2]

ثُمَّ جاءت الحرب الباردة، بطبيعة صراع فريد من نوعه، بطريقة غير مباشرة في الحرب، وَهُوَ مَا كوَّن تحدياً كبيراً أجبر الدول على إثراء رصيدها من العقائد العَسكَرِيَّة، وخاصة الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة، فإن التمردات وحروب الاستقلال في هَذِهِ الحقبة، وما تلاها من حرب غير نظامية ضد مَا يسمونه الإرهاب، صنع كُلّ ذَلِكَ أزمةً مفاهيمية احتاجت إلى عقائد ومبادئ عسكرية خاصة بِهَا.

ولأن الهدف الرئيسي من هَذِهِ الورقة البحثية هُوَ اقتراح نموذج تطبيقي لصياغة العقيدة العَسكَرِيَّة، فلا ينبغي أن أطيل الحديث عن نشأة العقائد،[3] العقائد التي أصبحت أمراً واقعاً في

(1) Harald Høiback, Understanding Military Doctrine, A multidisciplinary approach, Cass Military Studies, Routledge, London–New York, 2013, p 26.

(2) انظر: بيرت تشابمان، العقيدة العَسكَرِيَّة دليل مرجعي، ترجمة طلعت الشايب، المركز القومي للترجمة، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى 2015، ص 17.

(3) لمزيد من الاطلاع حول نشأة العقائد العسكرية انظر:

Harald Høiback, Understanding Military Doctrine, Routledge, London–New York, 2013, p25 (A history of military doctrine).

الأدبيات الغربية والشرقية، لكنها في المقابل لازالت مصطلحاً غامضاً تكاد لا تجد أي تقارب بين التعريفات التي وُضعت لَهُ.

في هَذَا الفَصْل؛ سنورد أَهَم تعريفات العقيدة العَسكَرِيَّة المنتشرة والمعتمدة في المراجع السابقة التي تناولت هَذَا الموضوع، ثُمَّ سنحاول تحرير محل الخلاف ومناقشة هَذِهِ التعاريف، وَهُوَ مَا سيقودنا إلى استنتاج مفهوم منضبط سيرتكز عَلَيْهِ البَحْث. ليكون لدينا في الفَصْل مبحثان رئيسيان:

- **المَبْحَث الأول: المفهوم اللغوي.**
- **المَبْحَث الثاني: المفهوم الاصطلاحي.**
- **المَبْحَث الثالث: العقيدة في الفكر العَسكَرِيّ.**

الـمَبْحَثُ الأولُ: المفهومُ اللغويُّ

يَجِبُ أن نعرف قبل كُلّ شيء أن مصطلح "العقيدة العَسكَرِيَّة" ليس مصطلحاً عربياً أصيلاً في اللغة الفصحى، إذ لَمْ يكن سائداً أبداً في اللغة العربية قبل القرن العشرين، وَهُوَ دخيلٌ على العرب، تسرّب إليهم من التراث الغربي الَّذِي تأثرنا بِهِ خلال حقبة الاستعمار وما بعدها، ولهذا فإننا نجد بحثنا لمعنى هَذَا المفهوم في اللغة العربية ليس إلا ضرباً من العبث وضياع الجهد، وكأننا نريد أن نعرِّف رجلاً بقومٍ لا ينتسب لهم أصلاً.

إننا إذا أردنا أن نعطي لِهَذِهِ الكلمة حقَّها من التعريف اللغوي، فلا مَناص من العودة إلى اللغة الأم والمفردة الأصل التي عُرِّب منها وَهِيَ: "Military doctrine".

ظهرت كلمة "doctrine" الإنجليزية أواخر القرن الرابع عشر، وَهِيَ من كلمة"doctrine" الفرنسية القديمة (تعود للقرن 12)، والتي ترجع بدورها إلى كلمة "doctrine" اللاتينية التي تطورت من كلمة "doctor" وتعني العالم أو المعلم. والعقيدة (doctrine) لدى الغرب هِيَ مجموعة المبادئ والتعاليم التي يضعها عالـمٌ مَا، فتلقى قبولاً لدى مجموعة من الناس، وتصبح راسخةً فيهم مع الزمن، فيتم تدريسها ونقلها وتلقينها على أنها صحيحة وصالحة للتطبيق.[1]

> من هَذَا المنطلق فإن العقيدة العَسكَرِيَّة (Military doctrine) في اللغة الإنجليزية والفرنسية واللاتينية تعني التعاليم والأسس التي يضعها العلماء العسكريون حول خوض الحرب بطريقة صحيحة، ويتم تدريسها وتلقينها لعناصر الجَيش.[2]

(1) انظر: قاموس Collins، دار هاربركولينز، 1979م، ص 402-404، وقاموس Ellinois الصادر عن جامعة إلينوي سنة 2009م، ص 506.

(2) الحقيقة؛ لا يوجد فرق دقيق بين مفهوم الكلمة في اللغة الأعجمية ومفهومها في اللغة العربية، فالعقيدة عِنْدَ العرب أيضاً هي الأفكار التي بلغت درجة من الإحكام والجزم ما جعل القلب يعقد عليها. انظر معنى العقيدة: المعجم الوسيط، تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، 614/2.

المَبْحَثُ الثاني: المفهومُ الاصطلاحيُّ

هُنَاكَ تداخل كبير في مفهوم العقيدة العَسكَرِيَّة بين الأدبيات الشرقية والغربية على حد سواء، حَتَّى أنك أحياناً لا تجد فارقاً دقيقاً بين العقائد والإِسْتِرَاتِيجِيَّات والمذاهب، بل إنك على مستوى مؤسسات الدولة الواحدة قد لا تجد اتفاقاً على تعريف العقيدة العَسكَرِيَّة، فعلى سبيل المثال أثناء اطلاعي على العقائد العَسكَرِيَّة الأمريكيَّة، وجدتُ أن هُنَاكَ فروقاً مفاهيمية دقيقة في تعريف هَذَا المصطلح بين جَيش البرّ الأَمْرِيْكِيّ وسلاح الجو وفيلق المارينز ومركز راند؛ وكلها مؤسسات تابعة لوزارة الدفاع الأمريكيَّة.

ثُمَّ إن المستويات التي تشملها العقيدة عندهم تكاد لا تُفلت طرفاً من الحرب، إذ يُدخِلُ بعضهم (الغربيون خاصة) في العقيدة العَسكَرِيَّة جوانبَ إستراتيجية وعملياتية وتكتيكية، وَهُوَ مَا يضيِّق هوامش الفرق بين هَذِهِ المفاهيم إلى درجة يصعب التمييز بينها، بينما يحصر البعض الآخر العقيدة العَسكَرِيَّة في الآراء الرَّسْمِيَّة للدولة (الروس خاصة).

وهؤلاء -الَّذِينَ عرَّفوا العقيدة فتوسعوا أو ضيقوا فيها- أفضل من الَّذِينَ اتخذوا العقيدة مادة إعلامية ودعائية لا تَعدُو أن تكون كلاماً فارغاً بعيداً عن العلم والرصانة،[1] مثل كثير من جيوشنا العربية التي تثني على عقيدتها العَسكَرِيَّة صباح مساء، ثُمَّ لا تجدُ لَهَا كتاباً أو مصنَّفاً واحداً يُعرِّف هَذِهِ العقيدة أو يذكر -على الأقل- مثالاً عَنْهَا.

(1) معظم المحاولات التي تناولت العقيدة العسكرية في العالم العربي لم تستطع أن تشرح هذا المفهوم بطبيعته العلمية الحديثة ذات الخصائص الشاملة، بل تناولته بسطحية، ووقعت في خطأ فادح عندما قصرت مفهوم العقيدة العسكرية على الروح المعنوية أو العقيدة الدينية.

تعريفاتٌ سائدةٌ

كأمثلة عن هَذَا المفهوم في العقلية الغربية؛ عرَّف الناتو العقيدة العَسكَرِيَّة أنها: "المبادئ الأَسَاسِيَّة التي تسترشد بِهَا القُوَات العَسكَرِيَّة في أعمالها لتحقيق الأهداف. إنها جازمة، ولكنها تتطلب اجتهاداً في التطبيق". وقد استُخدِمَ هَذَا التعريف من قِبَلِ العديد من الدول الأعضاء دون تغيير وعلى رأسهم بريطانيا.(1)

بينما نجد أن الجَيش الأَمْرِيْكِيّ عرف العقيدة أنها: "المبادئ الأَسَاسِيَّة، مع التكتيكات الداعمة والتقنيات والإجراءات والمصطلحات والرموز المستخدمة في إدارة العَمَلِيَّات، والتي تمثلُ دليلاً للقوات العاملة خلا تنفيذها للعمليات لتحقيق الأهداف الوطنية".(2)

أما بالنسبة للجيش الكندي فإن العقيدة العَسكَرِيَّة هِيَ: "تعبير رسمي عن المعرفة والفكر العسكريين، يقبله الجَيش على أنه ذو صلة بوقت معين، ويغطي طبيعة الصراع، وإعداد الجَيش للصراع، وطريقة الانخراط فيه لتحقيق النجاح ... إنها توجيهية وليست صارمة، وتتطلب اجتهاداً في التطبيق. وَهِيَ لا تقدم قائمة مرجعية بالإجراءات، بل هِيَ بالأحرى دليل موثوق يصف كَيْفَ يفكر الجَيش في القتال، وليس كَيْفَ يقاتل. على هَذَا النحو إنها تحاول أن تكون مجملة بما يكفي لتوجيه النشاط العَسكَرِيّ، لكنها متعددة الاستخدامات بما يكفي لاستيعاب مجموعة واسعة من المواقف".(3)

وكمثال عن هَذَا المفهوم في العقلية الشرقية؛ تنظر روسيا للعقيدة العَسكَرِيَّة أنها: "إحدى وثائق التخطيط الإِسْتِرَاتِيجِيّ الرئيسية في الاتحاد الرُّوسِيّ، وتمثل نظام وجهات النظر والآراء

(1) British Ministry of Defense, The Development, Concepts and Doctrine Centre (DCDC), Developing Joint Doctrine Handbook (4th edition), 101.

(2) USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, SECTION II – TERMS.

(3) Canadian national defense, B-GL-300-001 / FP-001998 : iv – v.

المعتمد رسميًا في الدولة بشأن التحضير للدفاع المُسَلَّح، تنطلق من عدة أسس مثل: القانون الرُّوسِيّ والقانون الدولي والمعاهدات الدولية، ويتم المصادقة عَلَيْهَا من الرئيس. تناقش المخاطر والتهديدات المحتملة، وتحدد طبيعة النزاعات المُسَلَّحَة والأعداء المحتملين لروسيا".[1]

وكنموذج عن مفهوم العقيدة لدى بعض المنظرين العرب؛ يصفها اللِّواء محفوظ بأنها: "النظرية العلمية والسِّيَاسَة العَسكَرِيَّة للدولة المعبرة عن وجهات النظر الرَّسْمِيَّة لَهَا، والمتعلقة بالمسائل والقواعد الأَسَاسِيَّة للصراع المُسَلَّح، والمتضمنة لطبيعة الحرب من وجهة نظرها، وطرق إدارتها، والأسس الجوهرية لإعداد البلاد، والقُوَات المُسَلَّحَة لَهَا".[2]

بينما يُعرفها العميد الركن الدكتور ياسين سويد بأنها: "السِّيَاسَة العَسكَرِيَّة العامة، التي تنتهجها دولة، أو أمة مَا في إطار المبادئ الأَسَاسِيَّة المتعلقة بشؤون الحرب، وغاياتها، وطرق إدارتها، وإعداد البلاد لَهَا؛ بهدف تحقيق غايات عقدية أو سياسية".[3]

(1) انظر الموقع الرَّسْمِيّ لرئاسة روسيا: (http://kremlin.ru/)

(2) محمد جمال الدين علي محفوظ، المدخل إلى العقيدة والإِسْتِرَاتِيجِيَّة العَسكَرِيَّة الإسلامية، دار الاعتصام، الطبعة الثانية، 1980، ص 3.

(3) د. ياسين سويد، الفن العَسكَرِيّ أصوله ومصادره، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع – بيروت – لبنان، الطبعة الثانية 1990م، ص 357.

مناقشةُ المفاهيمِ السائدةِ

بالعودة إلى وجهات النظر المختلفة بين العقلية الشرقية التي يمثلها الرأي الرُّوسِي، والغربي التي يمثلها الناتو والولايات المتحدة، ثُمَّ مقارنتها مع بعض أراء المفكرين العرب؛ يمكننا الخروج بعدة استنتاجات:

أولاً: ظهور هَذَا المفهوم حديثٌ في العلم العَسكَرِيّ، وبطبيعة الحال فإن المفكرين والمختصين لَمْ يرسوا على برٍّ ثابت في تعريفه ودراسته، بل إن عدد تعريفات العقيدة العَسكَرِيَّة قد يصل إلى عدد من كتب فيها.

ثانياً: حَتَّى ضمن الدولة الواحدة، قد نجد خلافاً كبيراً في تعريف العقيدة العَسكَرِيَّة، ولعل ذَلِكَ يعود بالأساس إلى اختلاف وجهات النظر بين المفكرين العسكريين في الدولة الواحدة، والَّذِي يكون عادةً نتيجةً لاختلافهم في المنطلقات والثقافات والتجارب التاريخية.

ولإن كان الخلاف واقعاً في الدولة الواحدة؛ فإن اتساع فجوته سيكون نتيجةً طبيعيةً ومحتومةً إذا خرجنا قليلاً من دراسة العقائد في دولةٍ معينةٍ إلى مقارنتها مع دولة أخرى مختلفة، وإن هَذَا الخلاف سيتسع أكثر فأكثر إذا تناولنا المعتقدات العَسكَرِيَّة بين الشرق والغرب.

ثالثاً: تذهب بعض التعريفات إلى توسيع مفهوم العقيدة العَسكَرِيَّة، فتُدرج ضمنه كُلّ مَا ينتج عن المؤسسة العَسكَرِيَّة من وثائق معتمدة رسمياً في الإِسْتِرَاتِيجِيَّة أو العَمَلِيَّات أو التكتيك، كما تلحق بِهِ القوانين والقيم والرموز العَسكَرِيَّة المعتمدة في الجَيش، وهَذَا هُوَ توجه العقلية الغربية بالعموم وعلى رأسها الأمريكيَّة، فإذا قلت لهم مَا هِيَ العقيدة العَسكَرِيَّة عندكم؟ فإنهم

سيقولون: العقيدة عندنا هِيَ: المبادئ والإرشادات والأدلة الأَسَاسِيَّة التي تنطلق من الدروس المستفادة تاريخياً وتُرشد القُوَات المُسَلَّحَة في خوض الحرب.[1]

لكن يبقى الغموض محيطاً بِهَذَا التعريف، فَهُوَ تعريف نظري لا يقدم شيئاً ملموساً، ويدفعنا إلى السؤال مجدداً أَيْنَ هَذِهِ العقيدة فعلاً، أَيْنَ هَذِهِ الإرشادات والمبادئ والقيم والقوانين التي تعتبرونها عقيدتكم؟ أَيْنَ هَذِهِ الدروس المستفادة التي تتحدثون عَنْهَا؟

وعِنْدَ طرح هَذِهِ الأسئلة ستجدُ المؤسسةَ العَسكَرِيَّةَ الأمريكيَّة تحيلك مباشرة إلى منشوراتها الرَّسْمِيَّة المعتمدة من قبل وزارة الدفاع، وَهِيَ أدلة ووثائق كتبها الخبراء الأمريكيون واعتُمِدَت رسمياً من قبل الجَيش، وتتناول مواضيع متنوعة، مثل إستراتيجية الأمن القومي، وأدبيات حرب مكافحة التمرد، وأنواع التكتيكات، وقوانين حقوق الإنسان في الحرب، ومبادئ وقيم الحرب، وما إلى ذَلِكَ، وقد قدَّم "بيرت تشابمان" لمحة جيدة عن هَذِهِ الوثائق في كتابه "العقيدة العَسكَرِيَّة، دليل مرجعي"، يمكنك العودة إليه.

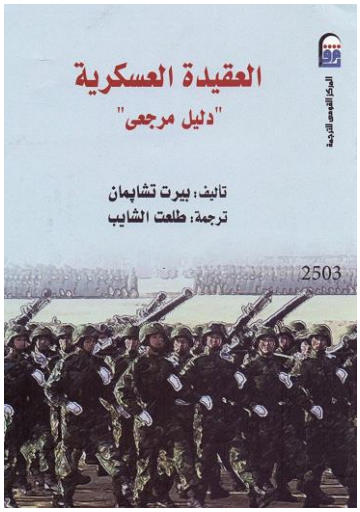

> إذاً، وبدقة أكبر من التعريف الَّذِي سبق ذكره، إن العقيدة العَسكَرِيَّة الأمريكيَّة -والغربية- هِيَ الوثائق الرَّسْمِيَّة المعتمدة من قِبَل وزارة الدفاع، والتي تُرشد القُوَات المُسَلَّحَة للطريقة التي ينبغي بِهَا خوض الحرب.

رابعاً: يمكننا قول نفس الشيء عن التعريف الرُّوسِيّ للعقيدة العَسكَرِيَّة أيضاً، إن لَمْ نقل إن ذَلِكَ يشمل المعسكر الشرقي كاملاً وليس الرُّوسِيّ فحسب؛ إن تعريفهم للعقيدة العَسكَرِيَّة يحيطه الغموض أيضاً، فإذا قلنا لهم أَيْنَ عقيدتكم العَسكَرِيَّة التي تتحدثون عَنْهَا؟ فإنهم سيحيلوننا إلى الوثائق الرَّسْمِيَّة التي تصدرها وزارة الدفاع أو قيادة الدولة، وكمثال عن ذَلِكَ

(1) انظر: (USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 1-6.)

يصادق الرئيس الرُّوسِيّ كُلّ خمس سنوات تقريباً على وثيقة سيادية توضح الإِسْتِرَاتِيجِيَّة الرُّوسِيَّة ورؤيتها لطبيعة الأعداء وتقييم المخاطر والتهديدات، ويعتبر معظم الروس أن هَذِهِ الوثيقة -وما شابهها- هِيَ عقيدتهم العَسكَرِيَّة.

إذاً، يمكن القول أيضاً: إن العقيدة العَسكَرِيَّة الرُّوسِيَّة -إن لَمْ يكن الشرقية ككل- هِيَ الوثائق الرَّسْمِيَّة المعتمدة من قبل الدولة، والتي ترشد القُوَات المُسَلَّحَة للطريقة التي ينبغي بِهَا خوض الحرب، لكنها أقل توسعاً من نظريتها الغربية التي أنتجت آلاف الوثائق في مختلف المستويات العَسكَرِيَّة الإِسْتِرَاتِيجِيَّة والتكتيكية.

ولكي يكون لنا وقفة عِنْدَ هَذَا الفرق الدقيق بين وثائق العقيدة الأمريكيَّة والرُّوسِيَّة، يجدر بنا أن نتساءل: لِمَاذَا تتوسع الولايات المتحدة في إنتاج وثائق العقائد العَسكَرِيَّة وتتيح المجال في ذَلِكَ لمختلف المؤسسات العَسكَرِيَّة البحرية والجوية والبرية؟ وفي المقابل؛ لِمَاذَا يتجه الروس إلى الاقتصاد في إنتاج الوثائق العقدية كـمًّا ونوعاً، ويضيِّقون صلاحيات إصدارها، حَتَّى أنها لا تكاد تصدر إلا من الرئيس تحديداً؟

مَا وصلنا إليه من خلال تحليل كلا الطرفين أن ذَلِكَ يعود بالأساس إلى اختلافهم في الدوافع، فدوافع الرُّوسِيّ من إصدار الوثائق العقائدية يغلب عَلَيْهَا البعدُ السِّيَاسِيّ الموجَّه للخارج، والظاهر من هَذِهِ الوثائق أنها توجه رسائل سياسية تعلن فيها روسيا أعداءها والتهديدات التي تتوقعها منهم، وليس الهدف منها إيجاد لغة مشتركة أو مراجع ميدانية للقوات المُسَلَّحَة.

لكن الأَمْرِيْكِيّ على عكس ذَلِكَ تماماً، فإن دوافعه لإصدار الوثائق العقائدية هِيَ داخلية بالأساس، الهدف منها ليس توجيه رسائل سياسية، وإنما إيجاد لغة مشتركة وإطار مفاهيمي موحد للقوات المُسَلَّحَة يمكِّن القادة من اتخاذ القرار السليم في الحرب. ولعل هَذَا مَا انعكس بعد ذَلِكَ على طبيعة اتخاذ القرار في كلا الجيشين، فالقائد الرُّوسِيّ لا يكاد يستطيع أن يتخذ

قراراً دون الرجوع إلى قيادته المركزية، أما الأَمْرِيْكِيّ فإن قراره مستند إلى الرصيد الكبير من هَذِهِ العقائد المنشورة، فَهُوَ لا يحتاج الرجوعَ إلى قيادته العليا إلا في القرارات المصيرية.

باختصار شديد، إن هدف الأَمْرِيْكِيّ من صياغة العقائد هُوَ: توفير إطار مرجعي للقادة والجنود، وَهُوَ مَا جعل الإنتاج العقدي عندهم غزيراً ومن مختلف أقسام القُوَات المُسَلَّحَة، وبالتالي هَذَا مَا أتاح للقائد العَسكَرِيّ مجالاً واسعاً من الاجتهاد والإبداع. في المقابل، إن الهدف الرُّوسِيّ من صياغة العقائد هُوَ سياسي بالأساس، وَهُوَ مَا جعل الإنتاج العقائدي شحيحاً ومن جهات محدودة، وبالتالي هَذَا مَا صنع قائداً عسكرياً آلياً عاجزاً عن الاجتهاد والتعامل مع الظروف المتغيرة.

لكن تبقى هَذِهِ الفرضيات محتاجة إلى مزيد من البَحْث والدراسة العميقة لكلا الطرفين، وَهُوَ مَا ليس من أهداف هَذَا البَحْث.

خامساً: يمكننا أن نصل إلى استنتاج مهم، يرفع عن القُرَّاء شيئاً من الضبابية والتشتت الَّذِي يحيط بِهَذَا المفهوم، وَهُوَ أن العقيدة العَسكَرِيَّة عِنْدَ معظم الشرقيين والغربين هِيَ الوثائق المعتمدة رسمياً والمرشدة للاستخدام القُوَات المُسَلَّحَة في الحرب.

لكن لدينا تيار آخر يتجه إلى رؤية مغايرة ونظرة مختلفة لقراءة العقيدة العَسكَرِيَّة، إذ يظهر لنا من استقراء العديد من المراجع العلمية في هَذَا الباب أن كثيراً من المفكرين -الأجانب والعرب على حدٍّ سواء- ينظرون للعقيدة العَسكَرِيَّة بمنظور مختلف، فلا يقصرون العقيدة في الوثائق المعتمدة رسمياً من قبل المؤسسة العَسكَرِيَّة، بل يدرسون كتابات المفكرين في كُلّ دولة ويحللون الإنتاج العلمي العَسكَرِيّ -الرَّسْمِيّ وغير الرَّسْمِيّ- لِهَذِهِ الدولة ويحاولون استنتاج عقيدتهم انطلاقاً من هَذَا.

فإذا قلت مثلاً للفريق الركن طارق شكري صاحب كتاب "العقيدة العَسكَرِيَّة وتطوراتها": ماهي العقيدة العَسكَرِيَّة؟ فسينقل لنا التعريف الأَمْرِيْكِيّ: هِيَ جميع المبادئ والمناهج والأساليب

التي تمكِّنُ القُوَات المُسَلَّحَة من إدارة أعمالها في السلم والحرب،[1] لكن إذا تساءلنا عن نموذج واقعي عن العقيدة التي يقصدها من هَذَا التعريف، فإنه سيضرب لنا مثلاً عن العقيدة الرُّوسِيَّة أنها قبل الحرب العالمية كانت: (الحرب الثَّوْرِيَّة)، وبعد الحرب العالمية أصبحت (الكتلة والقوة النارية)، ثُمَّ خلال الحرب الباردة أصبحت (التعرض السريع وفرض الأمر الواقع)، ويقول إن العقيدة الأمريكيَّة كانت أول أمرها (الرد الشامل) ثُمَّ أصبحت (الرد المرن) ثُمَّ تطورت لتصبح (الضرب بالعمق).

لكن إذا تساءلنا من أَيْنَ يأتي المؤلف بهذه المفاهيم؟ وَهَلْ هِيَ فعلاً العقائد الحقيقية للسوفييت والناتو؟ لا يمكننا أبداً أن نعلم الإجابة لأن العقائد المعلنة والمعتمدة رسمياً من قبل الطرفين لا تتطابق مع التعريفات التي ذهب إليها المؤلف طارق شكري، وهَذِهِ الأمثلة لا تمثل في الحقيقة غير اجتهاد الكاتب وتحليله واستنتاجه الَّذِي قد يكون مصيباً، أو قد يكون بعيداً عن الواقع.

وعلى ذَلِكَ فقِس كتابات المفكرين الآخرين الَّذِينَ اعتمدوا هَذَا النهج، فجلُّ أفكارهم حول العقيدة العَسكَرِيَّة، هِيَ في الحقيقة اجتهاداتهم وقراءتهم الشخصية، وهَذَا لا يعني أننا نقلل من قيمتها، أو أنها غير موضوعية، لكنها تبقى استنتاجات فردية تمثل أصحابها، وقد لا تمثل بالضرورة الجيوش التي يتحدثون عَنْهَا.

(1) طارق محمود شكري، العقيدة العَسكَرِيَّة وتطوراتها، الذاكرة للنشر والتوزيع، بغداد، الطبعة الأولى، 2016م، ص 29.

المدارسُ التي تناولَتْ مفهومَ العقيدة

يمكننا استنتاج تحليل نهائي من خلال مَا تقدم ذكره في المطلب السابق، وَهُوَ أن هُنَاكَ ثلاث مدارس تحدثت عن مفهوم العقيدة العَسكَرِيَّة:

المدرسة الأولى: العقيدة العَسكَرِيَّة عندها هِيَ المبادئ والإرشادات والدروس المستفادة من التاريخ والمعتمدة رسمياً من قبل المؤسسة العَسكَرِيَّة، وتتجلَّى هَذِهِ العقيدة تطبيقياً في الوثائق المنشورة رسمياً على نطاق واسع، والتي يكون الهدف منها تقديم دليل ميداني للقوات المُسَلَّحَة. ونميل أن نجعل الولايات المتحدة وحلف الناتو ممثلاً لِهَذِهِ المدرسة.

المدرسة الثانية: تعرِّف العقيدة العَسكَرِيَّة على أنها الآراء الرَّسْمِيَّة المعتمدة من قيادة الدولة، والتي توضح رؤيتها لخوض الحرب ضد الأعداء المحتملين، فَهِيَ تتقاطع مع المدرسة الأولى في أنها معتمدة رسمياً من قبل قيادة القُوَات المُسَلَّحَة، بينما تتميز عَنْهَا من حَيْثُ الشمول والاتساع وغزارة الإنتاج، ولعلَّ روسيا هِيَ أفضل ممثل لِهَذِهِ المدرسة.

المدرسة الثالثة: ويمثلها تيارٌ واسع من الكُتاب والمفكرين الَّذِينَ كتبوا عن العقيدة العَسكَرِيَّة، وحاولوا تحديد مفهومها، ولكن بطيف واسع من التعريفات التي قد تتقاطع من وجه، وتتباين من أوجه كثيرة أخرى، كما سعوا إلى التدليل عَلَيْهَا بما استنتجوه من تحليل أداء الجيوش الرُّوسِيَّة والأمريكيَّة وغيرها، وليس من العقائد المعتمدة الرَّسْمِيَّة لدى هَذِهِ الأطراف.

وهَذَا مَا وسع دائرة الضبابية والتشتت في مفهوم العقيدة، فرغم أن رُواد هَذِهِ المدرسة حاولوا تقريب وجهات النظر حول العقيدة العَسكَرِيَّة، إلا أنهم تسببوا -بِشَكْلٍ غير مباشر- في توسيع دائرة الاختلاف والضبابية، وأصبحنا الآن نجد تعريفات للعقائد الشرقية والغربية نعجز حَتَّى عن عدِّها وإحصائها، فلكل مفكر تعريفه الخاص، ولكل منهم نموذجه الخاص في الاستدلال على هَذَا التعريف.

وهُنَا لفتة لا ينبغي أن يفوتنا ذكرها، وَهُوَ أن أحد أسباب الخلاف الواسع في تعريف العقيدة العَسكَرِيَّة بين الكُتَّاب العرب يعود بالأساس إلى خلافهم في ترجمة الوثائق الأميركية أو الرُّوسِيَّة، فتُترجم الكلمة الأجنبية (*Doctrine*) تارة "عقيدة" وتارة "أيدلوجيا" وتارة "مذهب"، وأحياناً يُلحق بالعقيدة مَا ليس منها، والحبل على الجرار. وتكفي هَذِهِ اللمحة، لأن ظاهرة أخطاء الترجمة وآثارها المدمرة على العلوم العَسكَرِيَّة العربية يحتاج بحثاً مستقلاً.

يبقى السؤال هُنَا؛ من بين هَذِهِ المدارس الثلاثة، مَا هُوَ التوجه الصحيح؟

علم الحرب من العلوم الإنسانية، وعلوم الإنسان لا يمكن حسم الخلاف فيها على وجه اليقين، ولا يوجد شيء فيها اسمه الحق المطلق، لكننا نجد أن المدرسة الأولى هِيَ الأقرب للمقاصد التي وجدت من أجلها العقيدة العَسكَرِيَّة، وذَلِكَ لأن المدرسة الثانية تشكو من بعض العيوب، على سبيل المثال: إن منطلقات الوثائق العقدية لديها تكاد تكون سياسية بالأساس، كما أن مفهومها للعقيدة ضيق جداً مقارنة بالأولى، وَهُوَ مَا لا يمكن أن يُلبِّي حاجة القُوَات المُسَلَّحَة في الحرب، فإن لَمْ تكن العقيدة موجهة بالأساس للداخل -لقادة الجَيش وجنوده- فما الفائدة منها؟! وإن لَمْ تكن العقيدة شاملة لمختلف مستويات الحرب ومفصلة، فما النفع المرجو منها؟!

أما المدرسة الثالثة، فلا نجدها صالحة للتطبيق (رغم فائدتها العظيمة من جهة التنظير والفكر)، فتعريفاتها للعقيدة تكاد لا تُحصر، وأمثلتها عَنْهَا لا أُفق لَهَا، وَنَحْنُ نريد في البَحْث أن نُقلل هامش الضبابية والاضطراب لا أن نزيد فيه. ثُمَّ إن الأفكار لا يمكن أن تصبح عقيدة إلا إذا عُقد عَلَيْهَا العزم واستُحكمت واستوثقت، وهَذَا هُوَ المفهوم اللغوي للكلمة محل البَحْث كما سبق وتحدثنا، فإن لَمْ تكن العقيدة قد استُوثقت من خلال اعتمادها من قبل المؤسسة العَسكَرِيَّة، أو تدوينها رسمياً، فَكَيْفَ يمكن أن نسميها عقيدة؟!

في السياق الطبيعي؛ تظهر أولاً النظريات والأفكار، ثُمَّ من يُثبت جدواه من بين هَذِهِ الأفكار، يُجزم بِهِ ويُحكم القلب عَلَيْهِ فيصبح عقيدة، ليتم نقله -من خلال التدوين أو التلقين- للأجيال اللاحقة لتستفيد منه. أنظر مثلاً، إلى الجانب الديني، إذا تساءلت مَا هِيَ عقيدة أهل السنة والجماعة؟ سيقال لك إنها العقيدة التي كان عَلَيْهَا الرسول صلى الله عَلَيْهِ وسلم وأصحابه دون تحريف أو تبديل، فإن قلت أَيْنَ هِيَ هَذِهِ العقيدة، ستتم إحالتك للعقيدة الطحاوية مثلاً، أو الواسطية، أو التدمرية وما إلى ذَلِكَ من العقائد التي تَمَّ تدوينها واتفق علماء أهل السنة على صحتها.

نفس الأمر تماماً بالنسبة للعقيدة العَسكَرِيَّة، إن الأفكار والنظريات التي تتكون لدى المفكرين حول الطريقة المثلى لخوض الحرب لا تكون جميعها صالحة ومجديةً في التطبيق، لكن مع الزمن ومع التجارب والحروب، يتهاوى بعضها أمام الواقع، بينما تَثبت صحة بعضها الآخر، وتصبح هَذِهِ الأفكار مع الوقت مُحكمةً وصارمةً، وعادة مَا يَتُمُّ تدوينها ونشرها ليستفيد منها القادة اللاحقون، وهُنَا تكون العقيدة العَسكَرِيَّة قد تركبت وتكونت.

إذاً، فالأفكار لا يمكن أن تكون عقيدة وَهِيَ في مرحلة التنظير والتجريب، إنها لا بد أن تصبح محكمة وموثوقة، ولا تكون كذلك إلا من خلال إثبات فاعليتها في تجارب ميدانية، واعتمادها بِشَكْلٍ جازم من قبل المؤسسة العَسكَرِيَّة، وهَذَا الاعتماد إما أن يكون مدوناً أو متواتراً، ويغلب عَلَيْهِ في التاريخ المعاصر أنه أصبح مدوناً في وثائق رسمية،[1] وهَذَا مَا يجعلني أستبعد المدرسة الثالثة التي تميل إلى الاستنتاج والتحليل الشخصي- البعيد عن الجزم، أستبعدها كمُرجِّح للمفهوم، لكني سأستفيد منها كثيراً فيما بعد عند الحديث عن الخصائص والفوائد والمُنطلقات.

(1) Harald Høiback, Understanding Military Doctrine, A multidisciplinary approach, Cass Military Studies, Routledge, London–New York, 2013, p 23.

التعريفُ الاصطلاحيُّ المعتمدُ في البَحْثِ

بغض النظر عن الخلط الكبير الَّذِي يشوب هَذَا المفهوم، ينبغي علينا أن نضع لَهُ حداً واضحاً محكماً يعيننا على فهمه ودراسته خلال فصول البَحْث، ولنجيب عن الإشكال الأول الَّذِي طرحناه في المقدمة (ماهي العقيدة العَسكَرِيَّة؟) يمكننا القول إنها:

> مجموعة التعاليم العَسكَرِيَّة التي أثبتت التجارب صِحتها، فتم اعتمادها بِشَكْلٍ رسمي ومُلزِم من قبل القُوَات المُسَلَّحَة، لتصبح عبارة عن إرشادات وأدلة وأساسيات مُـحْـكَمة ينطلق منها الجَيش لخوض الحرب وتحقيق النصر.

إننا -بعد الاستقراء الواسع والمقارنة الدقيقة- نجد هَذَا التعريف مناسباً جداً لواقع الجيوش المعاصرة، وللقوى الثَّوْرِيَّة الصاعدة، فَهُوَ واضح المفهوم، سهل الاعتماد في الواقع الميداني.

وفي المحصلة، إن العقيدة العَسكَرِيَّة لأي حركة ثورية، هِيَ مجموعة التعاليم العَسكَرِيَّة التي تمت تجربتها وثبتت فاعليتها وجرى اعتمادها بِشَكْلٍ رسمي من قبل قيادة هَذِهِ الحركة وعُمِّمت ولُقِّنت للأتباع، وستأتي معنا أمثلة كثيرة عَنْهَا في الفصول اللاحقة.

لكن قبل ذَلِكَ يبقى علينا أن نتساءل مَا خصائص هَذِهِ العقيدة؟ ولِمَاذَا ينبغي أن يكون لدينا عقيدة عسكرية؟ وما المنطلقات التي يمكن أن نعتمد عَلَيْهَا لصياغتها؟

هَذَا مَا سنجيب عنه في المباحث القادمة.

الـمَبْحَثُ الثالثُ: العقيدة في التفكيرِ العَسكَرِيِّ

بداية ينبغي أن ندرك أننا نقصد بكلمة "التفكير العَسكَرِيّ": كُلّ الأنشطة العقلية التي تمارسها قيادة الجَيش أثناء خوضها الحرب، وبهذا الشُّمول يندرج في هَذَا المعنى كثيرٌ من العَمَلِيَّات الذهنية التي تكوِّن جوهر الحرب ومضمونها. بل يمكننا القول إن التفكير العَسكَرِيّ هُوَ مجموعة من عَمَلِيَّات التنظير والتخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة التي يمارسها القادة قبل الحرب وأثناءها وبعدها.

ورغم أن تسمية هَذِهِ العَمَلِيَّات الذهنية، وتحديد مفاهيمها؛ أمرٌ مختلف فيه بقوة بين المختصين، وكَذَلِكَ ترتيبها وتصنيفها ومستوياتها، لكنني -تقريباً للمعنى- سأحاول الاستعانة بنمط نُظم المعلومات لتوضيح مَا أقصده بالفكر العَسكَرِيّ في الشكل التالي:

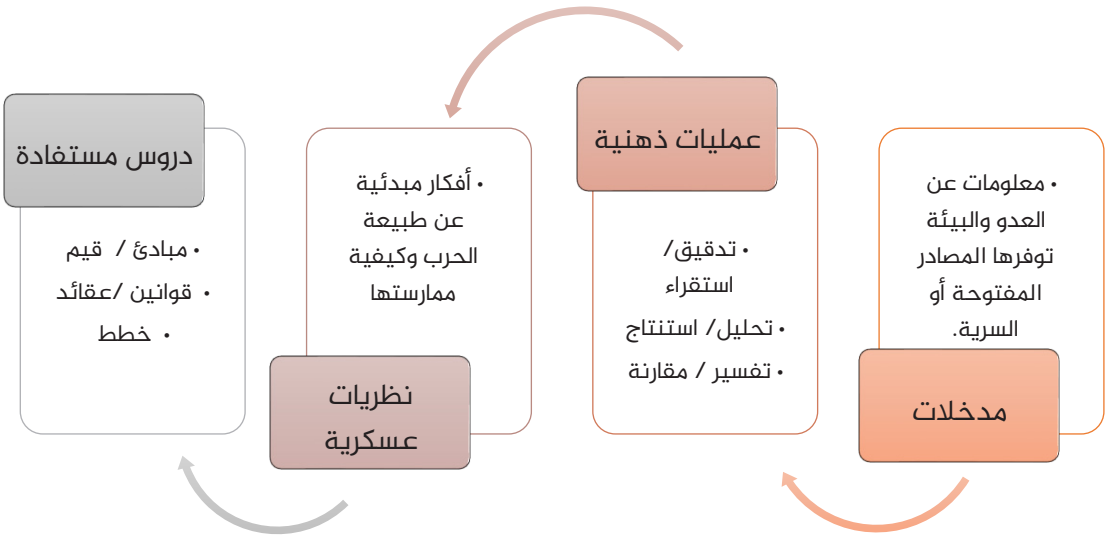

الشكل (1): التفكيرُ العَسكَرِيُّ بما يحويهِ من مدخلاتٍ وعَمَلِيَّاتٍ ذهنيةٍ ونظرياتٍ ومخرجاتٍ

يُظْهِرُ الشكل (1) أن القِيَادَة العَسكَرِيَّة في الواقع تحصل على مجموعة من المدخلات، والتي تكون عبارة عن معلومات متنوعة، تصل إليها من مصادر مختلفة:

- المصادر السرية: اختراق بشري بالجواسيس، اختراق تقني، تنصت...إلخ
- الاستطلاع: الميداني أو الجوي.
- المصادر المفتوحة: الكتب والدراسات المنشورة، التصريحات الرَّسْمِيَّة...إلخ

تقدم هَذِهِ المصادر مجموعة من البيانات المتنوعة حول التضاريس والسكان والمناخ والعدو والحلفاء والبنية التحتية، وما إلى ذَلِكَ من الحقائق الميدانية التي تحتاجها القِيَادَة لاتخاذ القرار السليم في الحرب. ثُمَّ بعد تحليل هَذِهِ البيانات يصل الخبراء إلى مجموعة من النظريات المبدئية التي تحتاج إثباتاً وصقلاً عبر التطبيق.[1] ثُمَّ بعد الممارسة والتطبيق، تستقر النظريات التي أثبت جدواها وتصبح سياسات وعقائد وخططاً تتسم بالثبات، بينما تبقى النظريات الأخرى حبيسة الرفوف الفكرية بعيداً عن عالم الواقع.[2]

> إن هَذِهِ العملية مستمرة ومتجددة ومتواصلة مَا دامت الحرب، وإن الفكر العَسكَرِيّ السليم هُوَ الَّذِي يتكيَّف مع المدخلات التي تُقدم لَهُ مع تغيُّر الظروف، فيصنع لَهَا النظريات المناسبة، ثُمَّ يجرب تِلْكَ النظريات في الميدان ليعرف منها المفيد من السَّقيم، وليحصل بعدها على دروس وعِبر مستخلصة من فوائد الماضي؛ تكون دليلاً ومرشداً لحروب المستقبل.

لكن مَا يُهمنا في هَذَا البَحْثِ؛ أَيْنَ موقع العقيدة العَسكَرِيَّة بين مخرجات التفكير العَسكَرِيّ؟

(1) الفريق الركن، الدكتور محمد عبد القادر الداغستاني، النظرية العَسكَرِيَّة والمذهب العَسكَرِيّ والعقيدة العَسكَرِيَّة، دراسة تحليلية ضمنها تطور النظريات العَسكَرِيَّة عبر تاريخ فن الحرب، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2019، ص 26.

(2) غالباً مَا يَتُمُّ الخلط بين النظريات والعقائد رغم وجود فروق جوهرية بينهما، فالعقائد قد أثبتت صحتها فعلاً عبر التجربة والتطبيق بينما النظريات ليست كَذَلِكَ، فمنها مَا قد يكون صالحاً لعالم الواقع ومنها مَا قد لا يحقق فائدة ميدانية تذكر.

لمزيد من الاطلاع على الفروق بين النظريات العَسكَرِيَّة والعقائد العَسكَرِيَّة انظر:

USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 2-25.

موقع العقيدة في التفكير العَسكَرِيّ

لدينا العديد من المصطلحات المتقاربة في الفكر العَسكَرِيّ، مثل المذهب، السِّيَاسَة، العقيدة، المبادئ، القيم...إلخ، ولتقاربها الكبير نجد أن بعض المدارس العَسكَرِيَّة تدمج بعضها وتحملها على معنى واحد، بينما يفرق بينها البعض الآخر بمجموعة من الحدود الدقيقة.

وفي الشكل (2) أعتمد توزيعاً واضحاً لأهم المفاهيم العَسكَرِيَّة، وأحاول من خلاله تحديد موقع كُلّ منها في مخرجات التفكير العَسكَرِيّ.

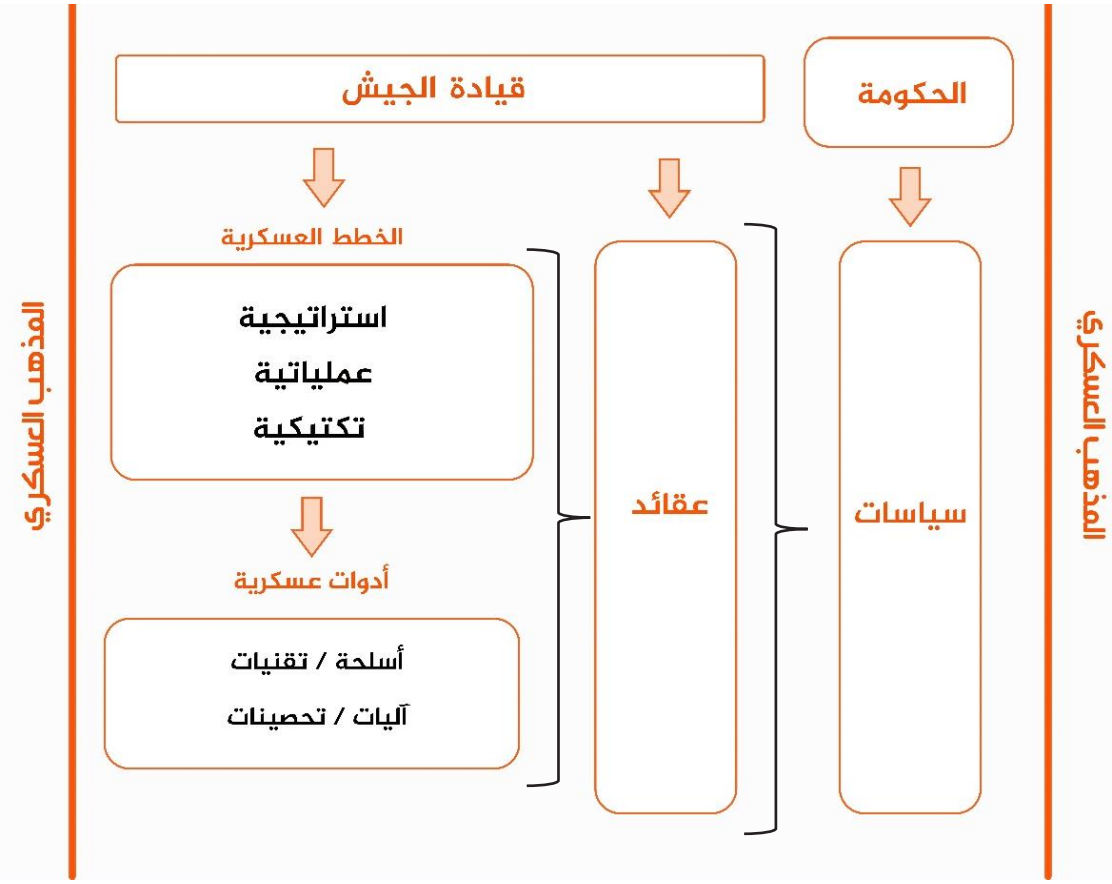

الشكل (2): موقعُ العقيدة في الفكرِ العَسكَرِيِّ

بعد معالجة المدخلات (التي سنتحدث عَنْهَا لاحقاً بالتفصيل)، ونتيجةَ العملية الذهنية التي يقوم بِهَا المفكرون والقادة العسكريون، تظهر لدينا عدة أصناف من النتائج الفكرية:

1. السياسات العَسكَرِيَّة: هِيَ رغبة الحُكُوْمَة[1] ونظرتها لطريقة خوض الحرب واستخدام القوة العَسكَرِيَّة ضد التهديدات المتوقعة، ووفق أولويات محددة مسبقاً، وَهِيَ مرتبطة عادة بإرادة القِيَادَة السِّيَاسِيَّة للبلاد، ومستقرة باستقرارها، فقد تتغير بتغير القِيَادَة أو الأهداف الوطنية أو لأسباب مالية.[2]

2. العقائد العَسكَرِيَّة: سبق تعريفها، وَهِيَ عادة تصدر من قادة القُوَات المُسَلَّحَة ونخبها، وَهِيَ أكثر استقراراً وتفصيلاً وعمقاً من السياسات. ترشد العقائد الجَيش، وتؤطر الإِسْتِرَاتِيجِيَّات والعَمَلِيَّات والتكتيكات والأدوات.

3. الخطط العَسكَرِيَّة: وقد تكون على مستوى إستراتيجي أو عملياتي أو تكتيكي.[3] وينبثق عَنْهَا مَا أسميناه الأدوات العَسكَرِيَّة، وَهِيَ التي تمثل وسائل وأدوات تحقيق هَذِهِ الخطط، مثل الأسلحة والتقنيات والتحصينات وما إلى ذَلِكَ.

---

(1) New Oxford American Dictionary.(2007)

(2) A PRIMER ON DOCTRINE, CURTIS E. LEMAY CENTER, FOR DOCTRINE DEVELOPMENT AND EDUCATIO, p 4.

(3) الخطة الإِسْتِرَاتِيجِيَّة: هِيَ التي توظف قدرات الدولة الاقتصادية والسِّيَاسِيَّة والعَسكَرِيَّة والاجتماعية في خوض الحرب، وتكون أهدافها طولية الأمد، خمس سنوات أو أكثر غالباً. والخطة العملياتية: هِيَ التي توظف الموارد العَسكَرِيَّة المتوفرة لقيادة الحرب في ساحة العَمَلِيَّات، وتكون أهدافها متوسطة الأمد، بين سنة وخمس سنوات غالباً. أما الخطة التكتيكية: فَهِيَ التي توظف الموارد العَسكَرِيَّة ضمن محور معين في ساحة العَمَلِيَّات، وتكون أهدافها قصيرة المدى، أقل من سنة غالباً.

الجدير بالذكر أن هَذَا التقسيم تقريبي، ولا يوجد إجماع عَلَيْهِ بين مفكري الحرب، فبعضهم لا يعترف بوجود خطط عملياتية، وبعضهم يقسم الإِسْتِرَاتِيجِيَّة إلى إستراتيجية كبرى وصغرى، وبعضهم الآخر يدخل في هَذِهِ الأنواع مَا لَمْ نذكره في التعريفات السابقة، أو العكس، وليس هَذَا البَحْث مقام تفصيل وترجيح في معاني هَذِهِ المفاهيم، ويكفينا هَذِهِ النبذة الإجمالية.

للاطلاع أكثر في هَذَا الباب؛ يمكنك العودة إلى:

- MG (ret) Kees Homan, Doctrine.
- USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 3-12, 4-29.

4. أخيراً، تكون عَمَلِيَّات التفكير العَسكَرِيّ، وما تنطلق منه من مدخلات، وما ينتج عَنْهَا من مخرجات؛ معالم المذهب العَسكَرِيّ. إن منهج التفكير المتراكم عبر التاريخ لأمة معينة، وما يتخلَّــلُه من منطلقات وخطط وسياسات وعقائد؛ هُوَ في الحقيقة المذهب العَسكَرِيّ لِتِلْكَ الأمة.[1]

الجدير بالذكر أن الجيوش تعبر عن هَذِهِ العناصر التي سبق ذكرها بالعديد من الوثائق الرَّسْمِيَّة، سواء المنشورة أو السرية، فتجد روسيا -على سبيل المثال- تصدر بِشَكْلٍ دوري وثيقة رسمية تسميها العقيدة العَسكَرِيَّة للاتحاد الرُّوسِيّ، يَتُمُّ تحديثها كُلّ خمس سنوات تقريباً، ويصادق عَلَيْهَا الرئيس شخصياً، وتعبر هَذِهِ الوثيقة عن موقف روسيا من الحروب وطبيعتها، والأعداء وتصنيفهم.

لكن الأمر مختلف في الغرب وخصوصاً الولايات المتحدة، فَهِيَ أكبر منتج للوثائق العَسكَرِيَّة في العالم، وإن هَذِهِ الوثائق تشمل جوانب واسعة جداً، مثل قوانين الحرب وأنواعها ومبادئها، وقيم القتال، والإِسْتِرَاتِيجِيَّات، والتكتيكات، وما إلى ذَلِكَ. وكمثال عن الوثائق التي تنشرها أمريكا وتعبر بِهَا عن عقيدتها نذكر الإصدارات التالية:[2]

- **وثائق إستراتيجية الأمن القومي التي تصدر عن البيت الأبيض ومجلس الأمن القومي الأَمْرِيْكِيّ كُلّ فترة رئاسية تقريباً، وتعبر عن الأهداف القومية المعلنة للدولة.**
- **تقارير الدفاع التي تصدر كُلّ أربع سنوات عن القُوَات المُسَلَّحَة الأمريكيَّة، والتي تمثل وجهة نظر القُوَات المُسَلَّحَة عن الأخطار المتوقعة وطريقة التعامل معها.**

---

(1) تماماً كما هُوَ الحال في سائر المصطلحات العَسكَرِيَّة الكبرى، هُنَاكَ اختلاف كبير بين المختصين في تعريف "المذهب العَسكَرِيّ". يذهب بعضهم أنه لا فرق بينه وبين العقيدة، بينما يجعله البعض الآخر قريباً للإستراتيجية، ويعتبر الدكتور محمد الداغستاني أن العقيدة أشمل من المذهب، فالعقيدة عنده جواب على سؤال: لِمَاذَا ومن نقاتل؟ أما المذهب فَهُوَ جواب عن سؤال: كَيْفَ نقاتل؟ لكننا نرجح أن المذهب أشمل من العقيدة كما سبق وعرفنا، وَهُوَ يتكون من مجموع السياسات والخطط والعقائد العَسكَرِيَّة للقوات المُسَلَّحَة.

(2) انظر: بيرت تشابمان، العقيدة العَسكَرِيَّة دليل مرجعي، الفَصْل الثاني.

- **وثائق الإِسْتِرَاتِيجِيَّة العَسكَرِيَّة التي تصدرها هيئة الأركان المشتركة، والتي تحدد أيضاً الأهداف العَسكَرِيَّة للبلاد.**
- **الوثائق والكتب التي تصدر عن مركز دراسات الحرب المشتركة، وعن القُوَات الجوية، وجيش البر، والبحرية.**

إلى غير ذَلِكَ من أقسام القُوَات المُسَلَّحَة التي يوجد لِكُلِّ منها موقع رسمي على شبكات التواصل، يُنشر فيها بِشَكْلٍ دوري مَا يعبر عن مخرجات العقلية العَسكَرِيَّة الأمريكيَّة.[1]

(1) كنموذج عن هَذِهِ الوثائق، يمكنك الاطلاع على الموقع الرَّسْمِيّ لمنشورات الجَيْش الأَمْرِيْكِيّ والَّذِي يضم معظم الأدلة الميدانية الأمريكيَّة ومنشورات العقيدة العَسكَرِيَّة (armypubs.army.mi).

مَا خصائصُهَا وفوائدُهَا؟

لا يوجد حدٌّ لعدد الأشخاص الَّذِينَ سيصطفُّون لنقد عقيدتنا وإبداء ملاحظات زائفة عَنْهَا، سيقولون: واسعةٌ جدًا، مختصرةٌ جدًا، تتضمنُ أمثلةً كثيرةً جدًا، أكاديميةٌ للغاية، ليست أكاديمية بما يكفي ... إن المعيار الحقيقي للعقيدة: هَلْ نقرأها ونفهمها؟ هَلْ نستفيد منها في الميدان؟ كُلّ شيء آخر ليس إلا هراءً. لذا فإننا عِنْدَمَا نكتب العقيدة التي تمُثل أفضل ممارساتنا؛ يَجِبُ ألا نخجل منها.[1]

(الجنرال الأَمْرِيْكِيّ رونالد كيس 1997م)

بناء على المفهوم الَّذِي تَمَّ اعتماده للعقيدة العَسكَرِيَّة في الفَصْل السابق، وما تَمَّ ذكره عن موقعها بين بقية العناصر في مخرجات التفكير العَسكَرِيّ، واسترشاداً بالمراجع المختصة في هَذَا الباب؛ نستنتج في هَذَا الفَصْل العديد من الخصائص والفوائد التي تساعدنا على فهم العقيدة العَسكَرِيَّة بطريقة أعمق، وتمُكننا من إدراك أبعادها.

يتكون الفَصْل من مبحثين أساسيين:

- **المَبْحَث الأول: خصائصُ العقيدة العَسكَرِيَّة.**
- **المَبْحَث الثاني: فوائدُ العقيدة العَسكَرِيَّة.**

(1) A PRIMER ON DOCTRINE, CURTIS E. LEMAY CENTER, FOR DOCTRINE DEVELOPMENT AND EDUCATIO, p 1.

المَبْحَث الأول: الخَصَائِصُ

الشكل (3): خصائصُ العقيدة العَسكَرِيَّة ومميزاتها

تحظى العقيدة العَسكَرِيَّة بالعديد من الخصائص لعلَّ أهمها:

1. ترجَّحت جدواها وفاعليتها بعد التجربة والتقويم والنقد.
2. اعتُمِدَتْ رسمياً من قبل القِيَادَة العَسكَرِيَّة وأصبحت جزءاً من النظام العام.
3. مزيج بين العلم والفن، وبين المعرفة والإبداع.
4. اجتهادية وليست حَرفيَّة، يعتمد تطبيقها على الخبرة والحكمة.
5. تؤطر الخطط وترشدها وليست بديلاً عَنْهَا.

6. **تأخذ وقتاً وزمناً طويلاً لتتبلور وتتكون.**
7. **تواكب التغيرات لكنها رغم ذَلِكَ ثابتةٌ نسبياً.**
8. **تتركَّب من أبعاد علمية وفكرية وتنبُّئِيَّة.**

وفيما يلي شرح لِكُلِّ خاصية.

ترجَّحت جدواها وفعاليتُها

عادةً مَا تدخل الجيوش حروبها بتصورات مسبقة عن الطريقة المجدية لخوض الحرب وتحقيق النصر، ثُمَّ إن التصورات والأفكار التي تثبت فاعليتها في الميدان من خلال تنفيذ العَمَلِيَّات أو التدريبات؛ تصبح دروساً مستفادةً غالباً مَا تحظى "بقبول واسع النطاق بسبب قابليتها للتطبيق بمرور الوقت في ظروف مختلفة، فتدمج الجيوش أفضل هَذِهِ الأفكار في العقيدة، وهَذَا التعلم التنظيمي سيوفر معرفةً متماسكة تَمَّ اختبارها بمرور الوقت، وذات صلة حقيقية بالواقع".(1)

لا عجب إذاً أن الجَيش الأَمْرِيكِيّ يُعَرِّفُ العقيدة العَسكَرِيَّة أحياناً بأنها "رأي الضابط الأقدم"، في إشارة إلى أن العقيدة ليست إلا عصارة خبرة القادة القدماء المخضرمين في الحرب والمجربين لغمارها ورمضائها. وَنَحْنُ هُنَا لا نقصد أن أفكار القادة العسكريين إذا تقادمت عبر الزمن أصبحت عقيدة عسكرية بالضرورة، إذ لا بد أن تكون هَذِهِ الأفكار قد أثبتت جدواها من خلال الممارسة مرة تلو الأخرى، حَتَّى يتواتر بين الخبراء أنها فعلاً مجدية وصالحة للتطبيق ومفيدة لتحقيق النصر.

وفي المحصلة لا تتحقق هَذِهِ الخاصية إلا بعاملين اثنين؛ أي لا تصبح الأفكار عقيدة عسكرية إلا بتحقق شرطين: أولاً التجريب والممارسة (أقلها في ميدان التدريب)، ثانياً: التأكد من أنها فعالة ومُجدية لكسب الحرب. فإذا لَمْ تُختبر هَذِهِ الأفكار في محك الواقع، أو أنها اختُبرت فلم تكن فعالة أو مجدية، فإنها لا يمكن أن تصبح جزءاً من العقيدة العَسكَرِيَّة.

(1) USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 1-6.

تَمَّ اعتمادُهَا رسمياً

يمكن القول إن العقيدة العَسكَرِيَّة لأي جَيش تستمد شرعيتها وتأثيرها بِشَكْلٍ أساسي من اعتماد القِيَادَة العليا لَهَا، إن ترك هَذِهِ المفاهيم للتفسيرات الشخصية والاجتهادات الفردية سيكون لَهُ أثر سلبي على القُوَات المُسَلَّحَة، وسيعاني القادة من التشتت والاضطراب، وبهذا ستفقد العقيدة حقيقتها، فكيف تكون عقيدة إن كان أفراد القُوَات المُسَلَّحَة يختلفون في توصيفها وتفسيرها. إن العقيدة من العقد والإحكام، فإذا دخل عَلَيْهَا الإيهام والاضطراب فقدت معناها.

هَذَا مَا يجعل من الضرورة بمكان؛ أن تعتمد قيادة القُوَات المُسَلَّحَة عقيدة موحدة تربع بِهَا الاختلاف والالتباس باعتمادها، وتدفع مفسدة الفرقة والتنازع، يَتُمُّ الموافقة عَلَيْهَا بتسلسل مؤسسي،[1] وتصادق عَلَيْهَا رسمياً القِيَادَة العليا في القُوَات المُسَلَّحَة.

وفي هَذَا الصدد؛ يقول الفريق الركن طارق شكري: "العقيدة العَسكَرِيَّةُ موضوعٌ معنيَّةٌ بِهِ القُوَاتُ المُسَلَّحَةُ، فَهِيَ قضية مهنية اختصاصية صرفة (..) ولذلك استَحدثت الدولُ دوائر رأسية في وزارة الدفاع أطلقت عَلَيْهَا تسميات مثل «دائرة التدريب والعقيدة العَسكَرِيَّة»، وأخرى اسمها «دائرة التطوير والعقيدة العَسكَرِيَّة»، وثالثة أطلقت عَلَيْهَا اسم «دائرة البحوث والعقيدة العَسكَرِيَّة»، وما إلى ذَلِكَ من أسماء ومسميات، والمسؤول عَنْهَا مسؤولية مباشرة في وزارة الدفاع، أعلى مرجع مهني، ألا وَهُوَ رئيس أركان الجَيش أو رئيس الأركان العامة للقوات المُسَلَّحَة، من خلال تِلْكَ الدوائر المختصة، على اعتبار أن منصب وزير الدفاع منصب سياسي وليس مهنياً".[2]

---

(1) A PRIMER ON DOCTRINE, CURTIS E. LEMAY CENTER, FOR DOCTRINE DEVELOPMENT AND EDUCATIO, p 1.

(2)طارق محمود شكري، العقيدة العَسكَرِيَّة وتطوراتها، ص 30.

مزيجٌ بينَ العلمِ والفنِّ

إن الحرب في حقيقتها تدافع للإرادات الإنسانية، إنها نتيجة حتمية لمزيج من الدوافع الاجتماعية والإنسانية والسِّيَاسِيَّة، ورغم أن حركة التقنين والقولبة العلمية بدأت تحاول وضع أسس ثابتة للنزاع المُسَلَّح منذ القرن التاسع العشر؛ إلا أن الحرب بقيت وستبقى مجهولة وغامضة في كثير من جوانبها.

ستستمر الحرب في كُلّ عصر بالتطور، وستفاجئنا بالعديد من المتغيرات، إنها حراك إنساني، وليست معادلة رياضية، إنها باختصار شديد علم وفن، علم من حَيْثُ القواعد والأسس والمبادئ العامة، وفن من حَيْثُ انطلاقها من الذات الإنسانية واعتمادها على الإبداع البشري.[1]

> المَعْرَكَة عبارة عن تداخل وتشابك وترابط بين مجموعة كبيرة من العناصر وتأثيرها على بعضها البعض، ومدى أهمية كُلّ عنصر ليست مقادير ثابتة ومتكررة، ولهذا فإن القوانين التي تحكم كُلّ حالة ستكون مختلفة، وستعتمد كثيراً على إبداع القائد.

ولأن الحرب هَكَذَا، لابد أن تكون العقيدة كذلك أيضاً، لابد أن تكون في جزء منها منطلقة من آخر القواعد والنظريات العلمية التي وصل إليها العقل البشري، لكنها في المقابل يَجِبُ أن تعتمد أيضاً على الإبداع، إبداع القادة والمفكرين في فهم طبائع الصراع الحربي والتنبؤ بِهِ، واختيار الوسائل المناسبة للتعامل معه، لتكون في النهاية نتيجة لامتزاج العلم بالفن، والقواعد بالإبداع.

(1) انظر: رفيق أبو هاني، مفهوم العقيدة العَسكَرِيَّة وحكمها ومصادرها، المعهد المصري للدراسات، 2022، ص 4.

اجتهادية وليست حَرفية

الشكل (4): العقيدة العَسكَرِيَّة اجتهادية وليست حَرفية

يظن البعض عِنْدَمَا يقرأ هَذَا الكم الهائل من المنشورات حول العقائد العَسكَرِيَّة أنها إجراءات جامدة يمكن تطبيقها حرفياً في ميدان المَعْرَكَة، إن هَذَا التصور بعيدٌ جداً عن الواقع، لأن العقيدة -في معظمها- ليست إلا مجموعة من الإرشادات والتوجيهات العامة، فَهِيَ غالباً لا تتناول واقعاً ميدانياً بعينه، ولا تكون إجراءً دائماً لِكُلِّ الظروف (فيما عدا الإجراءات الدقيقة مثل قواعد استخدام الأسلحة والرموز والمصطلحات التوقيفية وما إلى ذلك).

إنها أكثر نصوص العقيدة إرشادية ينطلق منها القائد لاتخاذ القرار المناسب وتحليل الحرب، فَهِيَ ليست بديلة عن القرار ولكنها مرشدةٌ لَهُ، وَهِيَ من جهة أخرى اجتهادية أيضاً تعتمد كثيراً على حكمة القائد وقدرته على فهم النصوص المكتوبة واكتشاف الظروف الواقعية المناسبة لَهَا، ثُمَّ اتخاذ القرار الصائب.

"إن حقيقة أن الحرب هِيَ عمل إنساني متغير باستمرار تعني أن العقيدة لا تقدم حلولاً للمشاكل ولا ينبغي لَهَا ذَلِكَ. لكن يمكنها أن تقدم رؤية حول كيفية التعامل مع المشاكل. الطبيعة غير المتوقعة للحرب تعني أن الجنود نادرًا مَا يستخدمون الحلول الثابتة ويستخدمون في أغلب الأحيان التطبيق المرن للقوة القتالية، التطبيق المستنير بالخبرة والدروس السابقة. وبالتالي، فإن العقيدة هِيَ دليل للعمل، وليست نموذجًا لَهُ". (1)

(1) USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019.

تؤطِّرُ الخططَ وليست بديلاً عَنْهَا

إن العقيدة في جوهرها مختلفة كلياً عن الخطط، إنها عبارة عن إرشادات وتوجيهات عامة، أما الخطط فمن المفترض أن تكون أكثر دقة وتحديداً، ومرتبطة بمجموعة من المؤشرات الزمنية والكمية. ووجود هَذِهِ الأهداف الدقيقة -التي لا مكان لَهَا في العقيدة- تمكن القِيَادَة العَسكَرِيَّة من توجيه الحرب وإدارتها وتقييم نتائجها ومراقبة مسارها.

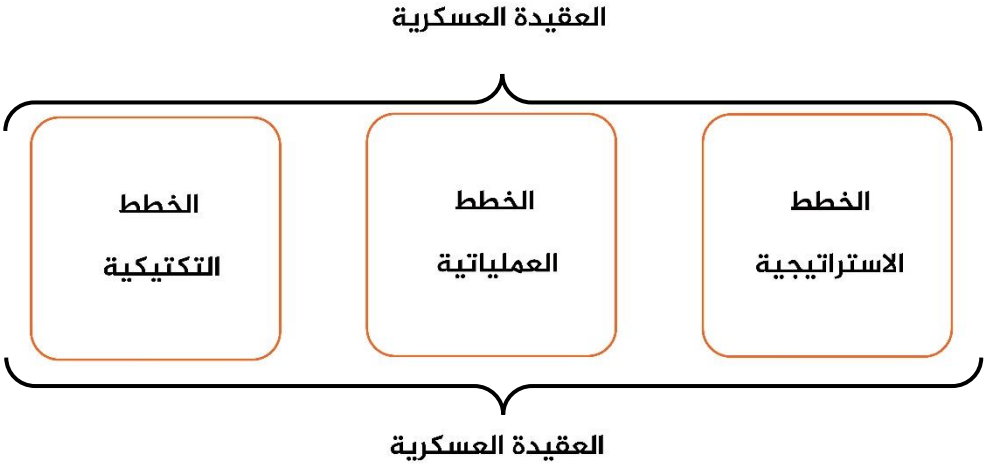

الشكل (5): العقيدة العَسكَرِيَّة تؤطر الخطط ولا تكون بديلاً عَنْهَا

من هَذَا المنطلق، لا يمكن للعقيدة أن تغني أبداً عن الخطط، نعم، إنها تؤطر الخطط وترشدها وتحافظ على مسارها ضمن حدود معينة، لكنها لا تكون أبداً بديلاً عَنْهَا. وكَذَلِكَ الأمر بالنسبة لبقية مخرجات التفكير العَسكَرِيّ، فالعقيدة لا ولن تقوم بدور السياسات والنظريات والأدوات.

تأخذُ وقتاً لتتشكلَ

جاء في الدليل الأَمْرِيْكِيّ للعقيدة العَسكَرِيَّة: "لا يَتُمُّ صناعة العقيدة بِشَكْلٍ فوري، كما أنها ليست ثابتة. المصدر الأول للعقيدة يأتي من عقود وغالباً قروناً من الخبرة. كثيراً مَا تحظى أفضل الممارسات والدروس المستفادة من العَمَلِيَّات والتدريب بقبول واسع النطاق بسبب قابليتها للتطبيق بمرور الوقت في ظروف مختلفة؛ فيدمج الجَيش أفضل هَذِهِ الأفكار في العقيدة، ويوفر هَذَا التعلم التنظيمي معرفةً متماسكة تَمَّ اختبارها بمرور الوقت، والتي تظل ذات صلة بالواقع وسهلة الفهم. توفر هَذِهِ المعرفة للجيش إطاراً فلسفياً للتفكير في العَمَلِيَّات".[1]

لذا، إن كانت العقيدة العَسكَرِيَّة في جوهرها عبارةً عن دروس مستفادة من الماضي والتجارب السابقة، فإنها أيضاً نتاجٌ عن نضوج العقلية العَسكَرِيَّة للأمة، ودليلٌ على ارتقاء مستوى تفكيرها. ولأن هَذَا النضوج وهَذَا الفهم لا يحصل دفعةً واحدةً، فلابد أن صياغة العقيدة ليست إلا عَمَلِيَّة تراكمية تأخذ وقتاً طويلاً من الزمن.

وعلى سبيل المثال؛ إن العقيدة العَسكَرِيَّة الأمريكيَّة التي نراها اليوم بدأت كتابتها أوائل القرن العشرين، وكانت حين إذن أقل من أربعين لائحة خدمة ميدانية وكتيِّب تدريب. ثُمَّ تدريجياً، نمت العقيدة الأمريكيَّة لتصبح سنة 2018 أكثر من خمسمئة دليل ميداني.[2]

ازدهرت كتابة العقائد العَسكَرِيَّة الأمريكيَّة في العقد الخامس والسادس من القرن العشرين، حَيْثُ اقتضت الحاجة في ذَلِكَ الوقت إلى تدوين الدروس المستفادة من الحرب العالمية الثانية، ثُمَّ شهد نشاط كتابة العقائد العَسكَرِيَّة تطوراً ملحوظاً أثناء الحرب الباردة، حَيْثُ أنتجت

(1) USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 1-6.

(2) المصدر نفسه (Introduction.).

طبيعة الحرب نمطاً جديداً من الصراع بين القطبين السوفييتي والأَمْرِيْكِيّ، تميز بأسلوب المواجهة غير المباشرة من خلال دعم وتأييد التمردات.

ثُمَّ وصل نشاط تأليف العقائد العَسكَرِيَّة الأمريكيَّة إلى أوجِهِ خلال حملات مكافحة الإرهاب والحرب على القاعدة، وقمع الثورات في العراق وأفغانستان، وكان في مجمله يُأَصِّلُ - وقتها- لمفهوم حروب مكافحة التمرد وأبعادها.

إذاً، مَا نراه اليوم من تراث عقائدي أمريكي ليس نتاج سنة واحدة أو اثنتين، بل هُوَ خلاصة عمل مضني من التأليف والبَحْث والتدقيق والتعديل استمر قرابة الستين سنة، قامت بِهِ مختلف المؤسسات العَسكَرِيَّة، بدايةً من الحروب العالمية الأولى والثانية ذات الطابع التَّقْلِيدِيّ، مروراً بِالحرب الباردة ذات النمط الاستخباري، وصولاً إلى حروب مكافحة الإرهاب وقمع التمردات والحروب الهجينة.

> ومن باب أولى، لا يمكن للحركة الثَّوْرِيَّة الناشئة أن تُوجد عقيدة عسكرية خاصة بِهَا في يوم وليلة، إذ لا بد لعملية صياغة العقيدة أن تأخذ وقتها، ولا بد للمؤسسات العَسكَرِيَّة الثَّوْرِيَّة أن تمارس دورها في إثراء هَذَا المفهوم من خلال العديد من الأنشطة الثقافية مثل: الندوات الحوارية بين القادة وكتابة الورقات البحثية وإعداد الملخصات...إلخ

تكون العقيدة في أول أمرها عبارة عن مجموعة من الأفكار لدى النخب والقادة العسكريين، ثُمَّ يَتُمُّ مع الزمن تدوينها وتوثيقها واعتمادها. ونتيجة للأنشطة المشتركة بين القادة في الميدان والمفكرين؛ تبدأ العقيدة العَسكَرِيَّة الثَّوْرِيَّة بالوضوح، فتكون مجملةً أول الأمر، ومختزلة في بعض الجوانب دون غيرها، لكنها مع سنين الخبرة تصبح أكثر عمقاً وتفصيلاً، ويصبح لَهَا نشراتها ووثائقها الخاصة التي يَتُمُّ تحديثها بِشَكْلٍ دوري، وقد يختص بعضها مع الوقت ببيئة معينة، مثل: عقيدة القتال في الجبال أو في الغابات أو في الصحاري. أو بطبيعة

حرب معينة، مثل: عقيدة القتال في الحرب النظامية أو الحرب الثَّوْرِيَّة أو الحرب الهجينة، كما قد يكون بعضها خاصاً بسلاح معين، مثل عقيدة السلاح النووي أو عقيدة سلاح الجو...إلخ.

وفيما يلي يمكن أن نلخص مراحل تكوين العقيدة في الخطوات التالية:

1. تتشكل ملاحظاتٌ في أذهان القادة والمفكرين نتيجة التجارب والحروب السابقة.
2. بداية تدوين هَذِهِ الأفكار لتصبح نظريات عسكرية قيد التجريب.
3. النظريات التي تُثبت صحتها يَتُمُّ اعتمادها من قبل القِيَادَة العَسكَرِيَّة، وهَذَا مَا يشكل النواة الأولى للعقيدة.
4. تُوثَّق هَذِهِ العقائد في مجموعة من المنشورات والأدلة الميدانية ويتم تعميمها.
5. مع تقدم الزمن تتعرض هَذِهِ المنشورات إلى التحديث فيتوسَّع بعضها ويُعاد صياغة بعضها الآخر وتنشأ منشورات جديدة، بينما قد يُستغنى عن القديمة.
6. مع تراكم الوثائق والمنشورات، يَتُمُّ تَنْظِيْم هَذِهِ العقائد وفق مجالات محددة، ليظهر لنا عقائد خاصة بالبر أو الجو أو البحر، وعقائد خاصة بالحروب النظامية وأخرى بالتقليدية، وهكذا...

تواكبُ التغيراتِ لكن ذات ثباتٍ نسبي

تتأثر الحرب بمجموعة من العوامل مثل المناخ والتضاريس والسِّيَاسَة الوطنية والظروف الدولية وطبيعة العدو...إلخ ولأن هَذِهِ العوامل تتغير باستمرار، فإن الحرب لا يمكن أن تكون قالباً ثابتاً، إنها تغير شكلها كلما تغيرت عواملها وعناصرها، حَتَّى أنك قد تجد من الفروق بين حرب وأخرى مَا يجعلك تعجز عن إيجاد وجهِ تشابه بينهما.

ولأن العقائد نتجت عن دراسة الحروب ووُجدت لترشد القادة أثناء قيادتها، فإنها أيضاً ينبغي أن تتكيف مع هَذَا التغير إن لَمْ نقل يَجِبُ أن تسبقه، وفي هَذَا الصدد يقول الدليل الأَمْرِيْكِيّ: "لَمْ تكن العقيدة العَسكَرِيَّة ثابتة دائماً ولا ينبغي أن تكون كذلك.[1] في حين أن بعض المنشورات لَهَا فترات صلاحية أطول من غيرها، إلا أن جميعها عرضة للتغيير، وقد تَمَّ تغييرها كلها تقريبًا على مدار عمرها الافتراضي. وهُنَاكَ بعض المنشورات لَمْ يعد يُعمل بِهَا أصلاً، بينما تعرض بعضها لإعادة الصياغة أكثر من اثنتين وعشرين مرةً بمعدل مرة واحدة كُلّ خمس سنوات".[2]

أَهَمّ مَا يمكن أن يدفعنا إلى تحديث العقيدة:

1. مواكبة العدو، وما وصل إليه من تكتيكات وتقنيات ومعدات.
2. اكتشاف نهج جديد أكثر فائدة عبر تحليل الدروس المستخلصة من الحروب.
3. تبدّل الظروف المحيطة مثل: الجغرافيا والديمغرافيا والاعتبارات المدنية وما إلى ذَلِكَ.

(1) هُنَاكَ نوع من المبالغة في هَذَا الإطلاق، فكثير من جوانب العقيدة الأمريكيَّة لازالت ثابتة حَتَّى الآن. وبالنسبة لنا نَحْنُ المسلمين؛ لا يصلح أن نقول إن العقيدة العَسكَرِيَّة كلها متغيرة، فرغم وجود بعض الجوانب التي يَجِبُ أن تكون متغيرة تحت وطأة تطور الحرب، إلا أن كثيراً من الجوانب الأخرى لا يمكن أن تتغير، خاصة تِلْكَ المتعلقة بالعقيدة الإسلامية.

(2) USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 2-28.

في كُلّ الأحوال، يَجِبُ أن يؤدي أي تحديث في العقيدة إلى تغيير سلوك القُوَات العاملة. وأي تغيير -مهما كان صغيراً- سيتطلب إنفاق مزيد من الموارد. ليست كُلّ التغييرات مهمة حقًا، ولكن معظمها يولد الحاجة إلى إنفاق الكثير من الموارد، لذا فإن التغيير ينبغي أن يضيف قيمة كبيرة للعمليات الحربية، وإلا فإنه سيعود بنتائج عكسية؛ وسيهدر وقتاً ثميناً وموارد قيمة.(1)

سيترتب على أي تحديث في العقيدة العديد من التأثيرات:

1. ينبغي تدريس هَذِهِ التغييرات في مؤسسات التدريب العَسكَرِيّ وإعداد المناهج المناسبة لَهَا.
2. لا بد من توضيح ذَلِكَ للقادة والجنود، مَا الَّذِي تَمَّ إلغاؤه وبماذا تَمَّ استبداله؟
3. ينبغي أن تصل التوجيهات المناسبة لمؤسسات التصنيع الحربي لتواكب هَذِهِ التحديثات.

وليصبح هَذَا التغيير فعالاً فإنه سيأخذ وقتاً طويلاً، وإن الأمر سيحتاج إلى بضع سنوات ليصل هَذَا التحديث إلى جميع الوحدات العاملة بِهِ، ولهذا السبب تميل المؤسسات العَسكَرِيَّة إلى إحداث تغييرات تدريجية وليست ثورية، ولن يقوم الجَيش بأي تعديل للعقيدة إلا بعد أن يتأكد بأن هَذِهِ المخاطرة تستحق ذَلِكَ.(2)

(1) USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 2-30.

(2) Dr. Aaron P. Jackson, The Roots of Military Doctrine Change and Continuity in Understanding the Practice of Warfare, Combat Studies Institute Press, US Army Combined Arms Center, Fort Leavenworth, Kansas, p 1.

تتشكلُ من أبعادٍ فكريةٍ وعَمَلِيَّةٍ وتنبئيةٍ

كما يتضح من الخصائص السابقة، فإن العقيدة هِيَ الجسر بين النظرية والتطبيق، وبين الفكر والعمل. ومن هَذَا المنطلق يمكن القول إنها تتكون من ثلاثة عناصر أَسَاسِيَّة:[1]

أولاً عنصر فكري: إنها مجموعة من الأفكار الراسخة والنظرية حول طبيعة الحرب ومفاتيح النجاح في ساحة المَعْرَكَة، تَمَّ استمدادها من الدروس السابقة والدراسات العميقة، ولا تزال ذات صلة بواقع اليوم.

ثانياً عنصر عملي: للعقيدة أيضاً جانب ديناميكي من حَيْثُ أنها تفسر طبيعة الحرب في ضوء الظروف الحالية، لضمان استخدام وتأهيل وتدريب القُوَات المُسَلَّحَة بِشَكْلٍ صحيح.

ثالثاً عنصر تنبئي: هُنَاكَ جانب كبير من العقيدة يحلل الصراعات الأخيرة من أجل التعلم منها للصراعات اللاحقة. إنه ينظر إلى الماضي من أجل اقتراح طرقٍ فعالة لاستخدام القوة العَسكَرِيَّة في المستقبل.

(1) MG (ret) Kees Homan, Doctrine.

الـمَبْحَثُ الثاني: الفوائدُ

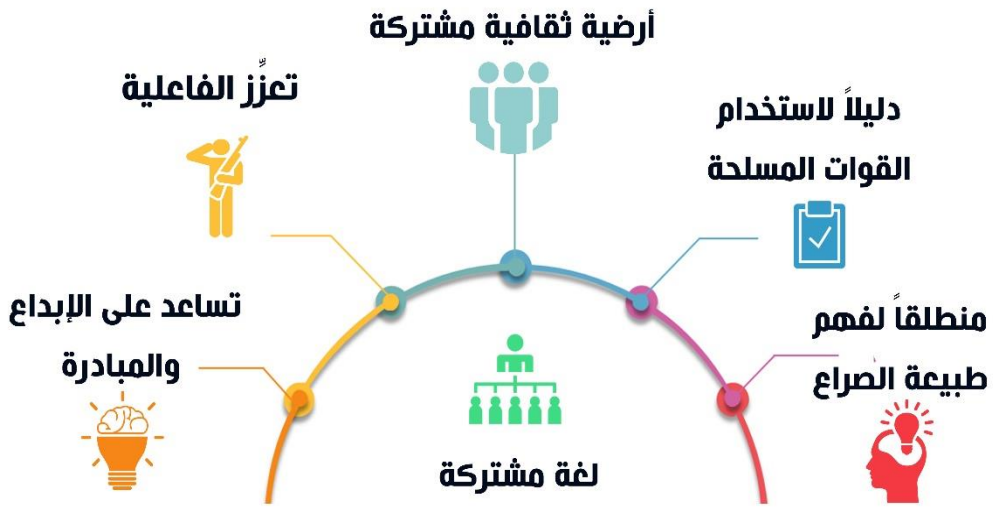

الشكل (6): فوائد العقيدة العَسكَرِيَّة

تقوم الجيوش باستخدام العقيدة العَسكَرِيَّة: كأداة للقيادة والسيطرة، للتعليم والتدريب، للتوجيه، وأخيراً للتقييم والتحليل.[1]

ثُمَّ إن تطبيق الجيوش للعقائد العَسكَرِيَّة يعود عَلَيْهَا بالعديد من الفوائد والثمار النافعة:

1. تشكل منطلقاً لفهم طبيعة الصراع المُسَلَّح.
2. تقدم دليلاً لاستخدام القُوَات المُسَلَّحَة في الحرب.
3. تشكل أرضية ثقافية مشتركة لأعضاء الجَيش.
4. تعزز فاعلية وتأثير القُوَات المُسَلَّحَة.
5. تساعد القادة والجنود على الإبداع والمبادرة.
6. تصنع لغة مشتركة بين القُوَات العَسكَرِيَّة.

وفيما يلي شرح لِكُلِّ فائدة.

(1) Anders Puck Nielsen, what is military doctrine?

تشكلُ منطلقاً لفهمِ طبيعةِ الصراعِ

تعمل العقيدة العَسكَرِيَّة كمنطلق لفهم طبيعة الصراع الحالي أو المستقبلي، لأن الحروب متنوعة وتنوعها يؤثر على الإِسْتِرَاتِيجِيَّات والتكتيكات والتقنيات المستخدمة فيها، ومن المفترض أن العقيدة العَسكَرِيَّة للجيش تقدم تقسيماً واضحاً لأنواع الحروب وخصائص كُلّ نوع، وكَيْفَ يمكن تمييزه.

من جهة أخرى لابد أن تحتوي العقيدة نظرة فلسفية للحرب، هَلْ هِيَ حدث عشوائي كما يقول البعض؟ أم هُوَ تدافع منظم للإرادات الإنسانية كما يقول البعض الآخر؟ هَلْ الحرب وسيلة أم غاية؟ هَلْ ينبغي على جيشنا أن يشن الحرب فقط للدفاع عن أمته؟ أم أنه يحق لَهُ أن يبتدر الأمم الأخرى بِالحرب؟ وإن كان كذلك، مَتَى؟ ولِمَاذَا؟ ومن يَجِبُ أن نحارب؟

على سبيل المثال ننقل هُنَا جزءاً من العقيدة العَسكَرِيَّة الأمريكيَّة وتفسيرها لفلسفة الحرب: "إن الحرب صراع إرادات إنسانية في الأساس. إنها ليست عَمَلِيَّة ميكانيكية يمكن التحكم فيها بدقة، بواسطة آلات أو إحصائيات أو قوانين ثابتة. في الأصل، كُلّ الحروب تدور حول تغيير السلوك البشري. إنها صراع عقل بين طرفين أو أكثر، حَيْثُ يحاول كُلّ طرف تغيير سلوك الطرف الآخر. غالباً مَا يَتُمُّ تحديد النجاح في العَمَلِيَّات من خلال قدرة القائد على التفوق على الخصم.

في حين أن شجاعة الجنود وتضحياتهم ضرورية لتحقيق النصر، إلا أن هَذِهِ المعنويات لن تستطيع تعويض الضرر الَّذِي تحدثه القرارات السيئة للقائد، خاصة إذا كان العدو كفئاً وقادراً على التكيف. إن الجانب الَّذِي يتنبأ بِشَكْلٍ أفضل، ويتكيف بسرعة أكبر، هُوَ الَّذِي يحقق النصر.

لكن الحرب هِيَ أكثر بكثير من مجرد صراع إرادات؛ إنها أيضاً تمثل الخوف والعاطفة والصداقة الحميمة والبطولة والحزن. تؤثر هَذِهِ المشاعر، والعديد من المشاعر الأخرى، على إدارة الحرب. إنها تؤثر على كَيْفَ ومَتَى يقرر القادة المثابرة ومَتَى يستسلموا. يَجِبُ أن تعترف العقيدة بالطبيعة البشرية وتراعيها".[1]

(1) USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 3-3, 3-4.

تصنعُ لغةً موحَّدةً

توفر العقيدة لغة مشتركة تسمح للوحدات بتمرير قدر كبير من المعلومات بسرعة وإيجاز. إذا كان الجنود والقادة يفهمون المعايير المحددة في العقيدة في مختلف المستويات فإن ذَلِكَ سيساعدهم على التواصل فيما بينهم، وإرسال التقارير، وتبادل الخبرات، وتلقي التدريبات، وتقدير الموقف، وسيعزز الفهم بين طبقات القِيَادَة والجنود.(1)

تكمن الأهمية الكبرى لِهَذِهِ اللغة المشتركة في كونها تسهل بِشَكْلٍ كبير التنسيق بين مختلف التخصصات العَسكَرِيَّة والوحدات المشتركة والقُوَات الجوية والبرية والبحرية، وتمكنها من التعبير عن أفكارها بدقة، وفهم أفكار الآخرين بوضوح، خاصة وأن الحرب في تاريخنا المعاصر لا يمكن أن تستغني عن العَمَلِيَّات المشتركة بين القوى الجوية والبرية والبحرية والفضائية، بينما كانت في السابق يمكن أن تقتصر على مجال واحد من هَذِهِ المجالات.(2)

(1) A PRIMER ON DOCTRINE, CURTIS E. LEMAY CENTER, FOR DOCTRINE DEVELOPMENT AND EDUCATIO, p 2.

(2) USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 1-15.

تقدِّم دليلاً لاستخدامِ القُوَاتِ المُسَلَّحَةِ

تمثل العقيدة العَسكَرِيَّة "الهيكل الَّذِي تتجلى فيه المعرفة المهنية التي توجِّه أداء الجنود لمهامهم. فالعقيدة تملي أسلوب العمل. وكما ينبغي أن يتمتع الأطباء بدرجة عالية من الكفاءة والاطلاع على أحدث المعارف الطبية، يَجِبُ على العسكريين أن يتحلوا بالكفاءة والمعرفة فيما يتعلق بالعقيدة، إذ يعتمد بقاء الجنود الَّذِينَ يشكلون قوام الجَيش على قيد الحياة -ناهيك عن أمن الأمة- على استيعاب الجنود والقادة كافة وإتقانهم هيكل المعارف المهنية، ألا وَهُوَ: العقيدة".[1]

> "تقوم العقيدة على فهم دقيق لطبيعة الحرب، ويمكِّن هَذَا الفهم القادة من التعامل مع حالات الضغط والشك الناجمة عن ضبابية واختلاط العَمَلِيَّات".[2]

توفر العقيدة للقادة والجنود إرشادات قيمة للتغلب على هَذَا الشك الَّذِي يشوب الحرب، وتساعدهم على اتخاذ القرارات السليمة، من خلال تقديم مناهج تَمَّ اختبارها سابقاً في ظروف مشابهة. ولعل أعظم آثار العقيدة على الإطلاق أنها الآن تساعد قادة الأركان في استخدام مختلف أقسام القوات المسلحة (البرية والجوية والبحرية)، فقد تضخَّم حجم هذه الأقسام وازدادت عناصرها ووحداتها الاختصاصية وكثرت تعقيداتها إلى درجة جعلت قيادتها في معركة واحدة مجتمعةً عملية معقدةً للغاية لا يمكن آداؤها دون أدِلَّة وتعاليم تسهِّل ذلك.

بالإضافة إلى ذَلِكَ، توسع العقيدة العَسكَرِيَّة من خبرات القائد والأركان إلى مَا هُوَ أبعد مِمَّا مروا بِهِ شخصياً، إنها تأخذهم إلى مَا واجهه السابقون من القادة المحترفون وتورِّثهم الحكمة التي تعلموها، كما أنها تساعدهم على فرز المهم عن غير المهم، والروتين عن الاستثنائي.[3]

---

(1) USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 1-1.

(2) المصدر نفسه.1-11

(3) المصدر نفسه.

ولأن العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة -من حَيْثُ نمطها العام- متشابهة إلى حد كبير، يمكن أن توفر العقيدة المطبقة بِشَكْلٍ صحيح حلاً بنسبة ثمانين إلى تسعين في المائة لمعظم الأسئلة، مِمَّا يسمح للقادة بالتركيز على الباقي، والَّذِي يتضمن عادةً تكييفًا لعملية معينة.(1)

(1) A PRIMER ON DOCTRINE, CURTIS E. LEMAY CENTER, FOR DOCTRINE DEVELOPMENT AND EDUCATIO, p 3.

تشكِّل أرضيةً ثقافيةً مشتركةً

توفر العقيدة إطاراً مرجعياً مشتركاً ومنظوراً ثقافياً موحداً للجيش،[1] من خلال توفير مجموعة مشتركة وموحدة من المبادئ والتكتيكات والرموز والإجراءات، وَهُوَ مَا سيعزز المرونة والحركة ورد الفعل السريع على الفرص والتهديدات الناشئة، وسيضمن التكيف المرن مع المتغيرات.[2]

فإن الإرشادات التي تتضمنها العقيدة حول الإِسْتِرَاتِيجِيَّات والعَمَلِيَّات والتكتيكات والتقنيات المناسبة، تعزز الفهم المتبادل بين القُوَات، وبين القِيَادَة العليا والدنيا. ولن يضطر القادة عِنْدَ اتخاذ القرارات الحاسمة إلى الدخول في التفاصيل الدقيقة، بل سيحصلون على مبادرة سريعة إذا كان من تحتهم يفهم العقيدة جيداً.

جاء في الدليل الأَمْرِيْكِيّ للعقيدة العَسكَرِيَّة: "إنها توفر إطاراً مفاهيمياً لمساعدة القادة على فهم بيئة العَمَلِيَّات، وتَنْظِيْم وتوجيه التفكير أثناء العَمَلِيَّات، وتصور كيفية الانتقال من الحالة الحالية إلى الحالة النهائية المطلوبة، واستنتاج المهام والمسؤوليات الموكلة للوحدات، وتقييم الخطط. لذا، يَجِبُ أن تسهل العقيدة من التفكير في الجَيش، لا أن تقيِّده".[3]

(1) British Ministry of Defense, The Development, Concepts and Doctrine Centre (DCDC), Developing Joint Doctrine Handbook (4th edition), 105.

(2) USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 1-3.

(3) USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 4-2.

تعزِّزُ الفاعليَّةَ

فهم الحرب بِشَكْلٍ جيد، ووجود أرضية ثقافية ولغة مشتركة، كُلّ ذَلِكَ سيكون سبباً في زيادة فاعلية الوحدات العَسكَرِيَّة. فالعقيدة تلتقط مَا ثبتت فائدته في الماضي وتوفر مجموعة من الأدوات التي يعتقد القادة أنها ستظل صالحة أثناء العَمَلِيَّات الحالية والمستقبلية، ولقد صمدت الكثير من العقائد أمام اختبار الزمن.

لا يمكن للعقيدة أن تأخذ في الحسبان كُلّ ظرف، إنها دائماً نقطة جيدة للانطلاق، فالتطبيق الخلاق للتركيبات المختلفة من هَذِهِ الأدوات العقائدية التي تتكيف مع الظروف المحددة هُوَ الفن الحقيقي للحرب. بالنسبة للقادة والجنود الَّذِينَ ليسوا على دراية بالعقيدة، فإن كُلّ عَمَلِيَّة هِيَ تعلم تجريبي أساسي، لكن مع مجموعة واسعة من الخبرات المتاحة من خلال دراسة العقيدة، يجعل القادة والجنود كُلّ عَمَلِيَّة أكثر من مجرد تعليم أساسي، بل خطوة متقدمة من الفهم والمعرفة.[1]

من جهة أخرى، إن الحرب اليوم أصبحت تعتمد على التعاليم والوصايا أكثر من أي وقت مضى، وذَلِكَ نتيجة التطورات العلمية والتقنية التي دخلت على الأسلحة والمعدات ووسائل القِيَادَة والسيطرة والاتصال، فالسرعة هِيَ ميزة الحرب الحديثة، وقصر أمدها جعل الوقت محدوداً وضيقاً دائماً، ولهذا السبب لا غنى لِكُلِّ جَيش عن العقيدة العَسكَرِيَّة التي تقدم للقوات أكبر قدر من التعاليم والإرشادات فتجعلهم أكثر قدرة على اتخاذ القرارات دون الحاجة لتلقي الأوامر، وبأقصى درجات اللامركزية.[2]

(1) المصدر نفسه.12-1

(2) طارق محمود شكري، العقيدة العَسكَرِيَّة وتطوراتها، ص 24.

تساعدُ على الإبداعِ وتشجعُ على المبادرةِ

من أَهَمّ فوائد العقيدة العَسكَرِيَّة أنها تعزز السمات الشخصية في القادة، إذ تشجعهم على المبادرة والإبداع والتكيف، إنها واسعة وعميقة بما يكفي لتغطية المواقف المختلفة، كما أن مرونتها تُمَكِّنَ القادة من التعامل مع المواقف غير المتوقعة والمتطورة.

ولأنها أداة للتقييم والتعليم والتوجيه، فإن ذَلِكَ ينمي القدرات الذهنية للقادة، ويساعدهم على تحديد مَا هُوَ ثابت وما هُوَ متغير في الحرب، ويمكنهم من الإبداع في مواكبة هَذِهِ التغيرات بما يخدم كُلّ موقف.[1]

(1) British Ministry of Defense, The Development, Concepts and Doctrine Centre (DCDC), Developing Joint Doctrine Handbook (4th edition), 105.

من أَيْنَ تَنْطَلِقُ العقيدة؟

عِنْدَمَا تعرف العدو، وتعرف قدراتك، فأنت لا شك سوف تحرز النصـــر، وعِنْدَمَا تعرف حالة الجو والأرض، فإن نصرك سيكتمل. (1)

(سون أتزو)

تمر صياغة العقيدة العَسكَرِيَّة بعملية معقدة من التأثيرات المختلفة، فَهِيَ أولاً استقصاء شاملٌ لمجموعة من المدخلات المتغيرة على مستوى البيئة والتهديدات والموارد وتجارب التاريخ، ثُمَّ هِيَ استنتاج للعديد من المخرجات التي تمثل في الحقيقة وسائلَ حربيةً فعَّالةً ودروساً مستفادةً تخدم القُوَات المُسَلَّحَة في حروبها الحالية والمستقبلية. وقد سبق معنا في الفصول السابقة الحديث عن مفهوم العقيدة وخصائصها وموقعها في التفكير العَسكَرِيّ، والآن سنتناول في هَذَا الفَصْل المدخلات التي تنطلق منها.

"تدور الحرب حول كيفية إدارة الصراع. وفي حين أن طبيعتها ثابتة، إلا أن الحرب تتغير باستمرار. إنها تتأثر بالتغيرات في القانون الدولي والتكنولوجيا والهياكل التنظيمية والمفاهيم العملياتية والرأي العام والسِّيَاسَة والوطنية، ومجموعة من العوامل الأخرى. قد يكون للحرب أوجه تشابه مع مرور الوقت، لكن سيكون لَهَا أيضاً اختلافات كبيرة، لذا يَجِبُ أن تأخذ العقيدة الثوابتَ في الحسبان ثُمَّ تكيف الحرب مع الظروف السائدة في بيئة العَمَلِيَّات". (2)

(الدليل الأَمْرِيْكِيّ)

(1)سن أتزو، فن الحرب، إعداد أحمد ناصيف، دار الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الأولى، 2010، ص 66.

(2) USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 3-7.

ما مصادر العقيدة العسكرية؟

لازالت الإجابة عن هذا السؤال محلَّ شدٍّ وجذب بين الباحثين، وتخلو معظم المراجع التي وقفتُ عليها من نموذج واضح يَذكر العناصر التي تُستمدُّ منها العقائد العسكرية، لكنني وجدت أن هارالد هاوباك[1] قد أجاد فعلاً في كتابه "فهم العقيدة العسكرية" عندما أصَّل لثلاثة أركان أساسية مستأنساً بآراء مفكرين سابقين مثل "كلاوزفيتز" و"فولر"، واعتبر أن العقيدة العسكرية تحوي ثلاثة عناصر مركزية:[2]

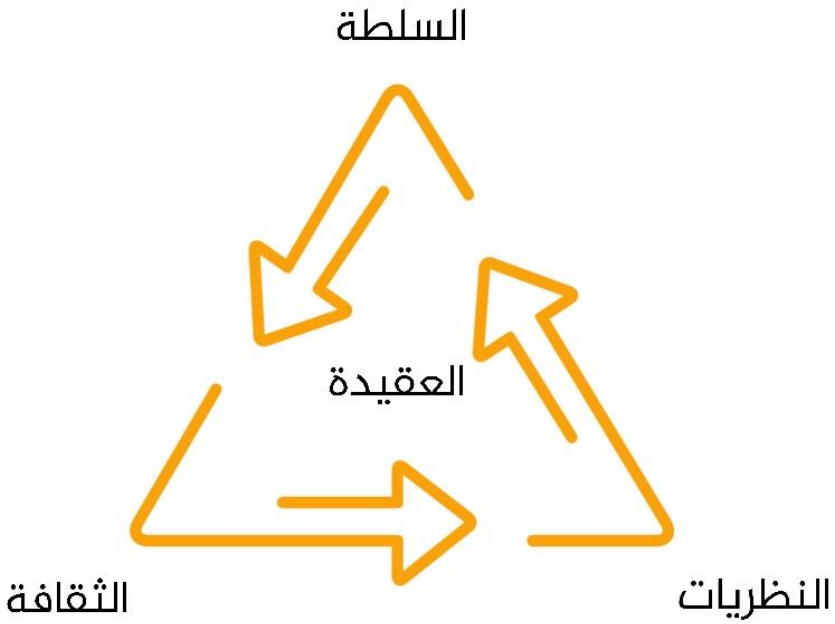

(1) هارالد هاوباك: مقدَّم في القوات الجوية النرويجية، يعمل مستشاراً في هيئة التدريس في كلية الدفاع النرويجية. حاصل على دكتوراه في الفلسفة من جامعة أوسلو، وماجستير في التاريخ من جامعة جلاسكو، وهو باحث في نظرية المعرفة للعقيدة العسكرية وتاريخ الأفكار العسكرية.

(2) Harald Høiback, Understanding Military Doctrine, A multidisciplinary approach, Cass Military Studies, Routledge, London–New York, 2013, p 56.

1- السلطة: هي المؤثر الأول في العقائد العسكرية، فمنها تصدُر السياسات العامة والقوانين التي تضبط حراك القوات المسلحة، ومنها تنبُع الأهداف الاستراتيجية العامة التي ستحدد القيادةُ العسكرية على ضوئها طبيعةَ الحرب، وهي التي تحدد التهديدات المستقبلية وتميِّز الأعداء عن الحلفاء، وما إلى ذلك من التوجيهات السيادية التي تتلقاها القوات المسلحة من القيادة العليا في الدولة، فالجيش -أولاً وأخيراً- ليس إلا أداةً من أدوات السُلطة، ولا مناص أن تتأثر عقيدتُه العسكرية برؤية تلك السلطة وأوامرها.

إضافة إلى ذلك، فإن طبيعة السلطة بحد ذاتها ستلقي بظلالها على العقيدة العسكرية، فلن يكون تأثير الحكومة القهرية الدكتاتورية على الجيش مثل تأثير الحكومة التي جاءت باختيار السكان، إذ قد ينحصر تركيز الأولى في استخدام القوة العسكرية لتوطيد حكمها وتأمين نفسها من المعارضة الداخلية، بينما قد تتوجه الثانية لأهداف أوسع، مما سينعكس ذلك على كفاءة وتنظيم وتسليح الجيش.

2- الثقافة السائدة: يُعبرِّ عنها "هاوباك" بأنها "كل ما ينتقل اجتماعياً -وليس بيولوجياً- في المجتمع البشري"، وهي "الالتزام المشترك بنفس مجموعة القيم والمعتقدات والأعراف".[1] إذاً فالأعراف العسكرية والاجتماعية السائدة والمعتقدات الدينية وما وصلت إليه البلاد من تطور على مستوى التقنية والعمران، وما تختص به من عوامل جغرافية وديمغرافية، كل ذلك يصنع الثقافة التي يتحدث عنها "هاوباك" ويعتبرها ركيزةً مهمة في تكوين العقيدة العسكرية.

3- النظريات: هي ما يُنتجه العقل العسكري من أفكار، ليشمل ذلك نظريات المفكرين العسكريين الأوائل مثل جوميني وكلاوزفيتز، والنظريات العسكرية الحديثة ما بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، والدروس المستفادة من التجارب التاريخية، والمستخلصة من المعارك والحروب السابقة.

(1) Harald Høiback, Understanding Military Doctrine, A multidisciplinary approach, Cass Military Studies, Routledge, London–New York, 2013, p 22.

في المحصلة، يمكننا القول إن هذه العناصر الثلاثة هي المنابعُ الأساسية للعقيدة العسكرية، وكل ما سأذكره تباعاً من مُنطلقات ليس إلا جزءاً منها مُندرجٌ فيها، لكنني اخترتُ التفصيل أكثر في الـمُرتكزات وعدم الاكتفاء بالتقسيم الثلاثي من باب الإيضاح والبيان، فأعدتُ توزيعها لتصبح العقيدة العسكرية قائمةً على عشرة مرتكزات، من بينها خمسة في البيئة الداخلية، وخمسة أُخر في البيئة الخارجية.

وترتيبي لها بهذا الشكل ليس من حيث الأهمية والأولية، لأن بعض ما ذكرته متأخراً قد يكون أشدَّ أثراً في العقيدة العسكرية مما ذكرتُه أوَّلاً.[1]

(1) في المباحث التالية سنقسم مصادر العقيدة العسكرية من حيث موقعها في البيئة الداخلية أو الخارجية وليس وفق الأهمية والأكثر أثراً، لكننا إن أردنا أن نصنفها حسب الأهمية والأولية في التأثير، فإن طبيعة السلطة وتوجيهات الحكومة وما تقدمه من توجيه سياسي واستراتيجي يأتي أولاً، ثم تحليل بيئة العدو، ثم تحليل البيئة الداخلية للقوات الصديقة، وهذه الثلاث هي المصادر الأساسية، وتأتي بعد ذلك تباعاً المؤثرات الأخرى مثل الاعتبارات المدنية والديمغرافيا والتقنية وما إلى ذلك.

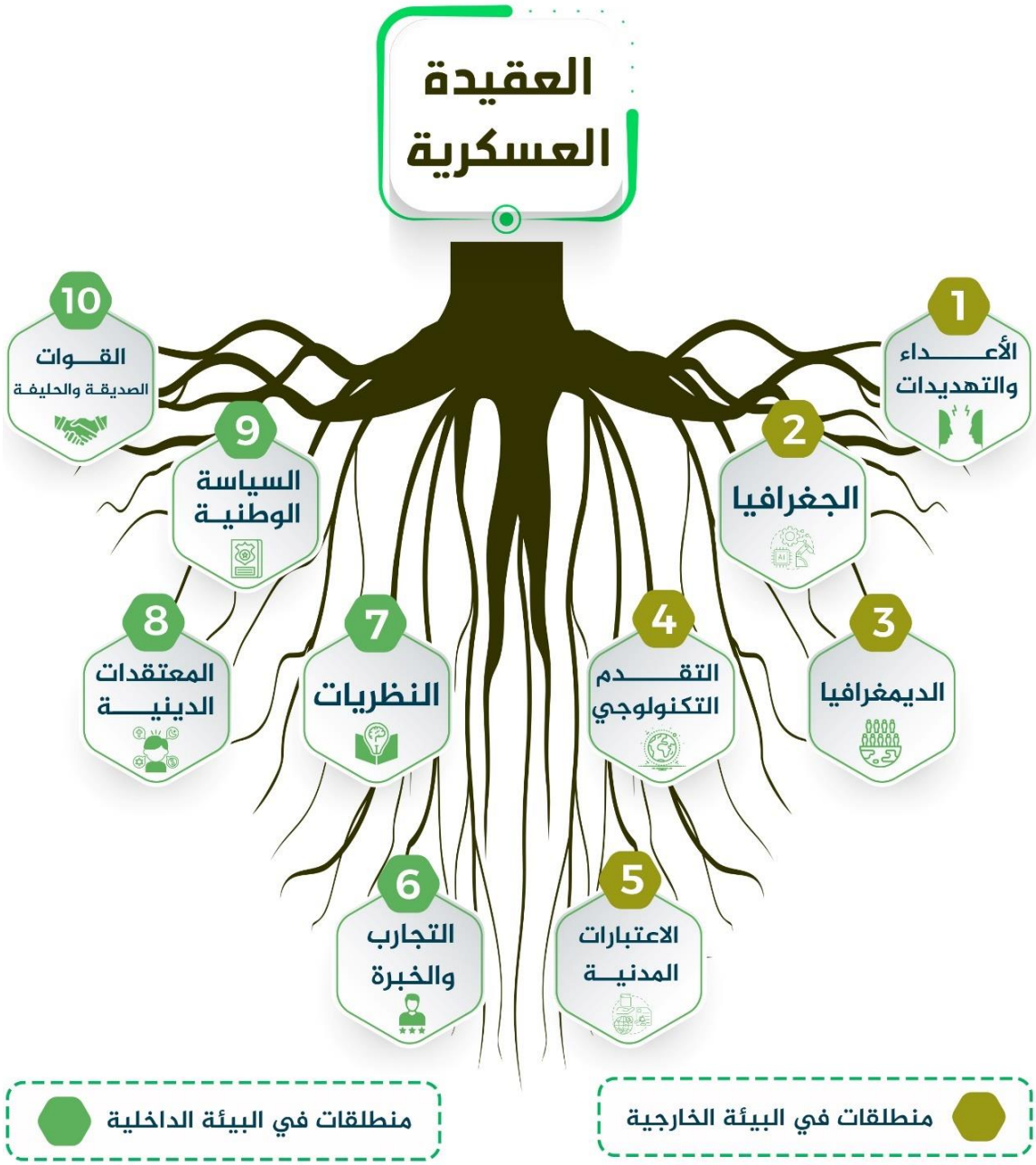

الشكل (7): منطلقات (مدخلات) صياغة العقيدة العَسكَرِيَّة

الـمَبْحَثُ الأولُ: منطلقاتٌ في البيئةِ الخارجيَّةِ

يستند القادة العسكريون في اعتماد نصوص العقيدة العَسكَرِيَّة على منطلقات داخلية وأخرى خارجية، وفي هَذَا المَبْحَث سنتناول المنطلقات في البيئة الخارجية، وَهِيَ:

1. الأعداء والتهديدات.
2. الجغرافيا.
3. الديمغرافيا.
4. التقدم التكنولوجي.
5. الاعتبارات المدنية.

وفيما يلي شرح لِكُلٍّ منها.

الأعداءُ والتهديداتُ

تعتمد العقيدة على وجود تقييم واضح وموجز للتهديد المتوقع أن تواجهه القُوَات المُسَلَّحَة. على وجه الخصوص، يمكن أن يكون التغيير في نية أو قدرة العدو المحتمل تأثيرٌ عميق على العقيدة الحالية. وإن التغيرات التي يجريها العدو على مستوى عقائده العَسكَرِيَّة وتقنياته وتكتيكاته ستتطلب إعادة تقييم سريع وتغييرات مجارية لَهَا من جهتنا.[1]

في الشكل التالي تظهر العناصر التي ينبغي مراقبتها في العدو وتوقع التهديدات:

الشكل (8): عناصر فهم العدو لصياغة العقيدة العَسكَرِيَّة

(1) MG (ret) Kees Homan, Doctrine.

على سبيل المثال؛ كان التفوق السوفيتي في عُدَّة الحرب الكلاسيكية هُوَ سبب توجه أمريكا لتطوير السلاح النووي بداية من سنة 1954 وتجهيزها لضربات نووية شاملة وواسعة، وَهُوَ مَا كانت تتوقع أن يحقق ردعاً ويحول دون تجرُّؤِ أي دولة على مهاجمتها،[1] لكن عِنْدَمَا طور السوفييت من قدراتهم النووية؛ عدلت الولايات المتحدة من سياستها سنة 1974 إلى الاستهداف النووي المحدود، لأن الاستهداف الشامل كان سيؤدي إلى استهداف شامل أيضاً من قبل السوفييت. ثُمَّ اتجهت بعد ذَلِكَ إلى دعم التمردات وجرِّ الاتحاد السوفييتي إلى زيادة الإنفاق لينهار من الداخل.

وبعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر، استيقظت الولايات المتحدة على عدو جديد، عدو عابر للدول والقارات، مختلف بِشَكْلٍ جذري في بنيته وأهدافه وتكتيكاته وتقنياته، وَهُوَ مَا أحدث ثورة بعد ذَلِكَ في العقائد العَسكَرِيَّة الأمريكيَّة، وأنتج تراثاً هائلاً من المناهج والوثائق العَسكَرِيَّة التي تتحدث عن طريقة خوض الحرب ضد القاعدة أو مَا يسمونه مكافحة الإرهاب.

وفيما يلي مقتطف من الوثيقة (FM-1) التي أصدرها الجَيش الأَمْرِيْكِيّ تحديثاً لعقائده العَسكَرِيَّة في مواجهة القاعدة:

> بعد الحادي عشر من سبتمبر 2011، لَمْ يعد يكفِ تركيز الدفاع على أخطار الدول الأخرى والأعداء المعروفين فحسب. إن البيئة الإِسْتِرَاتِيجِيَّة تتطلب أن يرد الجَيش على الأخطار غير التَّقْلِيدِيَّة وغير المتكافئة كذلك، وأهمها أتباع الأيدولوجيات المتطرفة. إن الحماية التي توفرها المسافة الجغرافية تتناقص، بينما تتزايد إمكانية الهجوم على المدنيين والعسكريين والأهداف الاقتصادية، كما أن خطر هجومهم علينا بأسلحة دمار شامل تخلِّف آثاراً كارثية يجعل القيام بعمليات استباقية ضد أولئك الأعداء أمراً مُلحاً".[2]

(1)انظر: بيرت تشابمان، العقيدة العَسكَرِيَّة دليل مرجعي، ترجمة طلعت الشايب، ص 17.

(2)انظر: المصدر نفسه، ص 36.

وكمثال حي من الحرب السورية، عدلت القُوَات الرُّوسِيَّة والإيرانية من عقائدها الحربية، على ضوء مواجهتها للتنظيمات الثَّوْرِيَّة التي تعتمد على السيارات المفخخة والهجمات الانغماسية، فأصبحت القِيَادَة الرُّوسِيَّة تعتمد على الدفاع في العمق بدلاً عن الدفاع الأمامي، والهجوم الليلي عوضاً عن النهاري، والاستطلاع الجوي والضربات الدقيقة، مِمَّا أثر بِشَكْلٍ كبير بعد ذَلِكَ على مجريات المَعْرَكَة، وأفقد تكتيكات الثوار فاعليتها، وتسبب في خسائر كبيرة في صفوفهم.[1] ثُمَّ عِنْدَمَا أرادت روسيا تطبيق تجاربها المستفادة من سوريا في أوكرانيا، فشلت فشلاً ذريعاً، والسبب بسيط جداً، إن العدو هُنَاكَ مختلف كلياً -من حَيْثُ الدعم والتسليح- عن الَّذِي في سوريا.

(1) جرى الاعتماد على الدفاع في العمق منذ معارك فك الحصار عن حلب في أغسطس 2016، ومنذ ذَلِكَ الوقت لَمْ يعد أسلوب الثوار الَّذِي يعتمد على الاقتحام تزامناً مع ضربات السيارات المفخخة فعالاً. أما تكتيك الهجوم الليلي فقد استخدمته قُوَات الأسد في معارك السيطرة على مناطق خان شيخون وسراقب بداية سنة 2019.

الجغرافيا

يؤثر اختلاف التضاريس وموقع ومساحة العَمَلِيَّات وحالة الطقس والمناخ على استخدام القُوَات المُسَلَّحَة وطبيعة حركتها،[1] وبالتالي فإن القتال في الجبال غير القتال في السهول أو الأودية أو الغابات أو المستنقعات، وإن استخدام القُوَات العَسكَرِيَّة في المناطق الباردة لا يخضع لنفس قواعد المناطق الجافة أو الرطبة، كما أن توفر عوامل الحياة من عدمه يؤثر بِشَكْلٍ كبير في سير الحرب. بالإضافة إلى هَذَا يخضع القتال على حدود دول معادية لإجراءات غير تِلْكَ التي يخضع لَهَا القتال على حدود دول حليفة، والدولة التي تكون حدودها ساحلية غير الدولة التي تكون كُلّ حدودها برية.

لِكُلِّ نوع من التضاريس طريقة خاصة في خوض الحرب، وبالتالي لِكُلِّ منها مكانته الخاصة في العقيدة العَسكَرِيَّة، وإن اختيار التقنيات والتكتيكات والقُوَات يخضع بِشَكْلٍ خاص إلى طبيعة الأرض التي نخوض الحرب عَلَيْهَا.

الشكل (9): عناصر فهم الجغرافيا لصياغة العقيدة العَسكَرِيَّة

(1) USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 4-12.

يسبِّب اختلاف المناخ[1] والتضاريس ومساحة العَمَلِيَّات تغيراً في حقول الرؤية والقدرة على التمويه والتموين والتحصين والسيطرة وحركة القُوَات والنيران. على سبيل المثال؛ تحظى التضاريس في العقيدة الثَّوْرِيَّة بأهمية كبيرة، فَهِيَ بالنسبة للثوارِ عامل قوة كبير يعينهم على الصمود أمام هجمات السلطات المَحلِيَّة أو القُوَات الأجنبيَّة الغازية، كما تُقدِمُ الأرضُ للثوارِ الملاذاتِ الآمنةَ لإنشاء القواعد التَّموينيَّة والتدريبية واللوجستية، والساتر والتحصين الطبيعي للاحتماء والتمويه من عَمَلِيَّات الاستطلاع والقصف الجوي والمدفعي والصاروخي، وفي هَذَا المقام يقول كلاوزفيتز:

> "الجبال هِيَ الوسط الَّذِي يتنامى فيه العصيان الشعبي، ويمكن أن تجد العصابات فيها ملجأً آمناً ليعيدوا الكرة بالانقضاض ثانية على أهدافهم دُونَ أن يلحقهم أي أذى".[2]

وستكون العوائق الطَّبيعِيَّة مانعةً ومعطلة لعمليات التمشيط والتطويق والحصار التي قد تلجأ إليها السلطات، إِضَافَةً لِهَذَا فإن البنية التحتية البدائية في التَّضَارِيس الوعرة ستكون سبباً في تعطيل مواصلات العَدو ذو الطابع النِّظامي وستجعله فريسة سهلة لكمائن وإغارات الثُّوار.[3]

(1) تشمل دراسة المناخ دراسة الاعتبارات التالية: الرؤية والرياح والأمطار وطبقات الغيوم ودرجة الحرارة والرطوبة.

(2) كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص594.

(3) انظر: الدفاع في الحرب الثَّوْرِيَّة، مدخل إلى مبادئ الدفَاعِ وأنواعه وعوامل قوته وإجراءات السَّيطَرَة فيه خلال الحرب الثَّوْرِيَّة، مركز الخطابي للدراسات، 2021، ص 87 و88.

الشكل (10): محاسنُ ومساوئُ الأرضِ الوعرةِ بالنسبةِ لِكُلٍّ من الثُّوارِ وأعدائِهِم.

الديمغرافيا

لا يمكن الاستغناء عن الديمغرافيا في صياغة العقائد العَسكَرِيَّة، إذ يشكل التوزع السكاني في ساحة العَمَلِيَّات منطلقاً مؤثراً لتحديد الطريقة التي يَتُمُّ بِهَا استخدام القُوَات المُسَلَّحَة، ولدراسة الثقافة والأعراف السكانية أهمية كبيرة في الحرب، وخاصة في حروب مكافحة التمرد.

وفي الحروب الثَّوْرِيَّة؛ يزداد الاهتمام بمعرفة التقاليد المحلية والميول السِّيَاسِيَّة لأن الفوز في الحرب يعتمد على كسب تأييد السكان، ولا يكون ذَلِكَ دون معرفة ميولاتهم وأعرافهم واللعب على أوتارها.

الشكل (11): عناصر فهم الديمغرافيا لصياغة العقيدة العَسكَرِيَّة

وعلى سبيل المثال؛ يفضل الثوار العمل في بلد يضم عدداً سكانياً كبيراً فإن ذَلِكَ سيحد من قدرة العدو على السيطرة، وكلما ازداد تشتت السكان كلما كان ذَلِكَ عاملاً مساعداً للتمرد، كما

تعطي نسبة عالية من سكان الريف مقارنة بالحضر ميزة للمتمردين. وكلما كان السكان على خلاف مع الحُكُوْمَة كلما كان ذَلِكَ لصالح التمرد.[1]

كما تنبه العقائد الأمريكيَّة على ضرورة "الفهم الكامل للمجتمع، وللبيئة الثقافية للسكان التي تجري فيها هَذِهِ العَمَلِيَّات، ويشمل ذَلِكَ فهم:

- تَنْظِيْم المجموعات الكبرى في المجتمع.
- العلاقات وحالات التوتر بين المجموعات.
- الأيديولوجيات والسرديات القصصية التي ترددها المجموعات.
- قيم المجموعات (بما في ذَلِكَ القبائل)، والاهتمامات، والدوافع.
- الوسائل التي تستخدمها المجموعات للتواصل (بما في ذَلِكَ القبائل).
- نظام القِيَادَة في المجتمع." [2]

وفيما يلي نموذج لتركيز العقيدة العَسكَرِيَّة الأمريكيَّة على الديمغرافيا:

"يحتفظ المتمردون بمزية تفوّق في معظم عَمَلِيَّات مكافحة التمرد التي تشارك فيها القُوَات الأمريكيَّة، وتتمثل هَذِهِ المزية في مستوى المعرفة المحلية بالبيئة المحيطة. فهم يتحدثون نفس اللغة، ويتحركون بسهولة داخل المجتمع، ومن الراجح أن يتفهموا اهتمامات وتطلعات السكان. ومن ثُمَّ فإن عَمَلِيَّات مكافحة التمرد الفعالة تتطلب التأكيد القوي على توافر مهارات معينة، مثل فهم اللغة والثقافة المحيطة، بأكثر مِمَّا نحتاجه في الحرب التَّقْلِيدِيَّة. كما أن الربط بين الطبيعة السِّيَاسِيَّة والعَسكَرِيَّة للتمرد ومكافحته، تتطلب الانغماس والاندساس بين صفوف عامة

(1) انظر: ديفيد جاليولا، حرب مكافحة التمرد، النظرية والتطبيق، ترجمة مركز الخطابي للدراسات، 2023، الفَصْل الثاني، ضعف مكافحة التمرد.

(2) دليل الميدان للجيش الأَمْرِيْكِيّ لمكافحة التمرد، ديفيد باتريوس وجيمس آموس، ترجمة أحمد مولانا. ص 66

السكان لتحقيق النصر. فالعمليات الناجحة لمكافحة التمرد تتطلب من الجنود ومشاة البحرية في كُلّ مستوى القيام بما يلي داخل السياق الثقافي لمنطقة العملية:

1. **دراسة الروابط الأسرية، والقبلية، والعرقية، والدينية أو غيرها من الروابط التي تتجاوز منطقة العَمَلِيَّات.**
2. **الإدراك الواضح للطبيعة الجوهرية والفوارق الدقيقة للنزاع.**
3. **معرفة أدوار الجهات الأخرى الفاعلة في منطقة العَمَلِيَّات.**
4. **خطوط الاتصال مع المناطق الأخرى.**
5. **الروابط الاقتصادية مع المناطق الأخرى.**
6. **التأثير الإعلامي على السكان المحليين، والرأي العام الأَمْرِيْكِيّ، والشركاء متعددي الجنسيات".** (1)

(1) دليل الميدان، ص 66 البند 1 و5 و6 و7 مقتبس من الصفحة 115 في نفس المصدر.

التقدمُ التكنولوجيُّ

لا يمكن الحديث عن ذَلِكَ الأفق الَّذِي يتوقف عنده التطور التكنولوجي، إنها عَمَلِيَّة مستمرة مادام الإنسان، وَهِيَ مرتبطة بِشَكْلٍ أساسي بقدرة البشرية على الإبداع والتأقلم. ولأن الحرب متصلة بمجالات الحياة الأخرى، إن لَمْ نقل مستهلكة لَهَا، فسيبقى القادة العسكريون يوظفون بقية العلوم في سبيل تحقيق أهدافهم العَسكَرِيَّة، وهُنَا يمكن للتكنلوجيا أن تقدم لهم أداة قوية لاستباق الخصم وضربه في مقتل، ولهذا السبب لا نكاد نميز الآن بين المؤسسات البحثية والعَسكَرِيَّة.[1]

خلال صياغتهم للعقائد العَسكَرِيَّة؛ ينظر القادة والخبراء إلى درجة التطور التقني الَّذِي وصلت إليه البشرية، إن لَمْ نقل إنهم يتوقعون شكل الحرب المقبلة انطلاقاً من طبيعة الاكتشافات التي وصلت إليها المؤسسات البحثية.

> تتغير طبيعة الحرب باستمرار، وتتغير آثار التكنولوجيا في الأسلحة الموجهة بدقة، في أنظمة الاتصال، في أنظمة الاستشعار والاستهداف المتقدمة، في منصات إدارة المَعْرَكَة...إلخ وَهُوَ مَا يغير -بِشَكْلٍ واضح- الطريقة التي تدير بِهَا القُوَات المُسَلَّحَة عملياتها.[2]

ولو نظرنا إلى التاريخ القريب، لوجدنا في الحرب الأوكرانية دليلاً واضحاً على جدوى صياغة العقيدة في ضوء التقدم التكنولوجي، فالقوات الرُّوسِيَّة دخلت الحرب بترسانة تقليدية وعقيدة كلاسيكية تعتمد على العدد البشري والقدرة التدميرية، لكن الغرب الَّذِي راهن منذ سنوات على الدقة والسرعة على حساب القدرة التدميرية، أثبت أن رهانه كان رابحاً إلى أبعد

(1) A PRIMER ON DOCTRINE, CURTIS E. LEMAY CENTER, FOR DOCTRINE DEVELOPMENT AND EDUCATIO, p 8.

(2) David Jablonsky, US Military Doctrine and the Revolution in Military Affairs, The US Army War College Quarterly: Parameters, 7-4-1994, p 1.

الحدود. لقد كشف الدعم الغربي لأوكرانيا عن فاعلية الضربات الدقيقة المركزة على حساب القدرة التدميرية، ويعود الفضل في هَذَا كله أن الجيوش الغربية حدثت عقائدها بناءً على آخر الاكتشافات التكنولوجية، وتوجهت إلى تصنيع الصواريخ والقذائف والطائرات الذكية، بينما بقيت روسيا أسيرة لعقيدة القرن الماضي.

الاعتباراتُ المدنيَّةُ

إن العمران المدني من أَهَمّ العوامل التي تؤثر على طبيعة استخدام القوة الحربية، وبالتالي لابد أن تشمل العقيدة العَسكَرِيَّة الفروق الدقيقة في ميدان العَمَلِيَّات، وبشكل أساسي الاعتبارات المدنية. إن الفرق بين هَذَا العامل وعامل الجغرافيا أن عناصر الأخير لا يد للإنسان فيها، أما الاعتبارات المدنية فَهِيَ كُلّ مَا يكون من صنيعة الإنسان في ساحة الحرب، مثل:

1. حالة الطرق والجسور والسكك الحديدية وقدرتها على تحمل الحركة العَسكَرِيَّة.
2. طبيعة المطارات والموانئ وأنواعها وتوزعها الجغرافي ومدى مناسبتها لخوض الحرب.
3. المرافق الأَسَاسِيَّة ومدى تطورها وقدرتها على خدمة القُوَات المُسَلَّحَة، ويمكن لِهَذِهِ المرافق أن تشمل المياه والكهرباء والاتصالات والصرف الصحي وما إلى ذَلِكَ.
4. طبيعة البناء السكاني وهيكليته وكثافته وتوزعه الجغرافي.
5. التقسيمات الإدارية للمناطق أو الولايات والمحافظات.
6. توزع المراكز الحكومية الأمنية والصحية والثقافية والخدمية.
7. المنظمات الإنسانية والحقوقية، وطبيعة عملها، وأماكن توزعها.

وكمثال لاستخدام هَذِهِ الاعتبارات في العقيدة العَسكَرِيَّة الأمريكيَّة، جاء في دليل الميدان لمكافحة التمرد: "تتعلق الاعتبارات المدنية بكيفية تأثير البنية التحتية التي أنشأها الإنسان، والمؤسسات المدنية .. والمنظمات داخل منطقة العَمَلِيَّات على إجراء العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة.

يحلل القادة المناطق المدنية الرئيسية من حَيْثُ طريقة تأثيرها على مهام كُلّ وحدة، وكَذَلِكَ طريقة تأثير العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة على هَذِهِ المناطق. أمثلة للمناطق المدنية الرئيسية: الحدود السِّيَاسِيَّة من بينها الضواحي والبلديات والأقاليم، مناطق ذات قيمة اقتصادية عالية، مثل المراكز

الصناعية، والمناطق الزراعية، والمناجم، مراكز الحكم والشؤون السِّيَاسِيَّة، مناطق مهمة ثقافياً، الطرق التجارية وطرق التهريب...

ويحلل القادة وضباط هيئة الأركان القدرات المدنية من وجهات نظر مختلفة، ومن أبرز القدرات الأكثر أهمية: الإدارة العامة وفاعلية البيروقراطية والمحاكم وغير ذَلِكَ من الدوائر الحُكُوْمَة بالدولة المضيفة، السلامة العامة التي توفرها قُوَات الأمن، والقُوَات المُسَلَّحَة، والشرطة، والهيئات الاستخبارية. خدمات الطوارئ من وكالات مثل أقسام الإطفاء وخدمات الإسعاف، الصحة العامة، العيادات والمستشفيات. الغذاء والماء والصرف الصحي.

غالباً مَا تتطلب العَمَلِيَّات من القادة التنسيق مع المنظمات الحكومية الدولية والمنظمات غير الحكومية. وتشمل المعلومات المطلوبة للتقييم أنشطة هَذِهِ المجموعات، وإمكانياتها، والقيود المفروضة على عملها. ويتضمن تَفَهُّمُ الموقف معرفة: كَيْفَ يمكن أن تؤثر أنشطة المنظمات المختلفة على العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة؟ وكَيْفَ يمكن أن تؤثر العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة على أنشطة هَذِهِ المنظمات.

والمنظمات هِيَ مجموعات أو مؤسسات غير عسكرية تتواجد في منطقة العَمَلِيَّات. وَهِيَ تؤثر وتتفاعل مع السكان وقُوَات مكافحة التمرد، وبعضها البعض. ويكون لَهَا عموماً بنيان هرمي، وأهداف محددة، وعَمَلِيَّات مؤسسية، ومرافق ثابتة أو أماكن للاجتماعات، ووسيلة للدعم المالي أو اللوجيستي. وقد تتكون بعض المنظمات من السكان الأصليين للمنطقة. وقد تشمل: المنظمات الدينية، الأحزاب السِّيَاسِيَّة، المنظمات الوطنية أو الخدمية، اتحادات العمال، المنظمات الإجرامية، المنظمات المجتمعية".[1]

(1) دليل الميدان الأَمْرِيْكِيّ، ص 311 حَتَّى ص 308 مع بعض الاختصار والتهذيب.

الشكل (12): عناصرُ فهمِ الاعتباراتِ المدنيةِ لصياغةِ العقيدة العَسكَرِيَّةِ

الـمَبْحَثُ الثاني: منطلقاتٌ داخليةٌ

يمكن توزيع المنطلقات الداخلية التي تستند عَلَيْهَا نصوص العقيدة العَسكَرِيَّة إلى خمسة أنواع:

1. التجارب السابقة والخبرة المتراكمة عبر التاريخ.
2. النظريات العلمية والفكرية حول الحرب.
3. المعتقدات الدينية للأمة.
4. السِّيَاسَة الوطنية في الدولة.
5. طبيعة القُوَات الصديقة والحليفة.

وفيما يلي شرح لِكُلٍّ منها.

التجارب والخبرة

مع وجود ألفي عامٍ من التجارب خلفنا، ليس لدينا أي عذر في عدم القتال بِشَكْلٍ جيدٍ.

(ليدل هارت)

تمثل التجارب السابقة والدروس المستفادة منها منطلقاً مهماً لصياغة العقائد العَسكَرِيَّة، فَهِيَ انعكاس لحوار الماضي مع الحاضر لصالح المستقبل،[1] وَهِيَ ثمرة لابد منها لِتِلْكَ الدماء والخسائر التي أُزهقت في الميدان. إن خوض الحرب في بيئة معينة لمدة طويلة أو مُعاركةِ عدو واحد لأكثر من مرة تورث القادة العسكريين انطباعاً محدداً تجاه ذَلِكَ العدو أو تِلْكَ البيئة، وهَذَا الانطباع يَجِبُ ألا يبقى حبيساً في العقل، بل لابد أن يوثق ويصبح جزءاً من العقيدة الجديدة.[2]

وَنَحْنُ هُنَا لا نتحدث عن تجاربنا فقط، بل لا بد أن ندرس تجارب الآخرين أيضاً، وإننا لا نتحدث فقط عن التجارب المعاصرة، بل لابد أيضاً من العودة إلى عمق التاريخ، إلى حروب الأمم القديمة ففيها من العبر الجليلة مَا يوسع مدارك العاقلين، لكن ينبغي أن يبقى تاريخنا الإسلامي القديم والمعاصر هُوَ المصدر الأساس لنا، لِأَنَّهُ مرتبط بحضارتنا كأمة، ولِأَنَّهُ يمثل امتداد جهادنا وكفاحنا. ولكَم نأسف عِنْدَمَا نرى بعض النخب الثَّوْرِيَّة تعتكف على دراسة الحروب النابليونية والحروب العالمية الأولى والثانية، وتأنف عن دراسة حروب خالد بن الوليد وموسى بن نصير ويوسف بن تاشفين وصلاح الدين الأيوبي، وقد أسرها بريق الحضارة الغربية المتغلبة.

(1) انظر: بيرت تشابمان، العقيدة العَسكَرِيَّة دليل مرجعي، ص 159.

(2) British Ministry of Defense, The Development, Concepts and Doctrine Centre (DCDC), Developing Joint Doctrine Handbook (4th edition), 118.

نعم؛ الحكمة ضالة المؤمن. نعم؛ لا غنى عن دراسة تجارب الآخرين والاستفادة منها، لكن الحذر الحذر أن يجعلنا ذَلِكَ ننسلخ من تاريخنا وهويتنا ونحتقر حضارتنا وتراثنا، ونركع أمام سطوة الحضارة المتغلبة.

من جهة أخرى، ينبغي أيضاً الحذر أن تُستخدم الخبرة الطويلة بِشَكْلٍ سلبي، لتبرر الجمود والتصلب على الأساليب القديمة، إذ لا بد أن يكون القائد الخبير منفتحاً مطلعاً على آخر النظريات الجديدة، لابد ألا يبقى أسيراً لمنظور ضيق، بل يَجِبُ أن يستفيد من آخر مَا وصلت لَهُ الدراسات والأبحاث الحديثة من علوم وحِكم، ولو كان كتُابها ليسوا من ذوي الخبرة الميدانية، فيكفينا أنهم يتكلمون بموضوعية ومهنية.

باختصار، تكون التجارب السابقة مفيدة في صياغة العقيدة العَسكَرِيَّة، عندنا ننظر لَهَا بعين الاعتبار والنقد لا بعين الجمود والتقديس، وعِنْدَمَا نمزجها بآخر مَا وصلت إليه النظريات والدراسات الحديثة من علوم، وبلمسةٍ إبداعيةٍ مُجددةٍ.

على سبيل المثال؛ عِنْدَ فشلها في احتلال الفيتنام، أعادت الولايات المتحدة صياغة عقيدتها في مكافحة التمرد وجعلتها ترتكز بِشَكْلٍ أساسي على كسب السكان، ثُمَّ استثمرت ذَلِكَ في احتلالها للعراق وأفغانستان، بل إنها أحياناً حاولت أن تنقل بعض التجارب الناجحة في العراق إلى أفغانستان (تجربة الصحوات على سبيل المثال). وبالعموم، كان لحرب الفيتنام تأثير كبير في العقيدة العَسكَرِيَّة الأمريكيَّة، فقد أظهرت بِشَكْلٍ واضحٍ نتائج تركيز الولايات المتحدة على الردع النووي على حساب الأسلحة الأخرى، وأظهرت للأمريكيين عواقب استخدام القوة المفرطة على نحو اعتباطي وليس بناء على قرارات مدروسة، وكَيْفَ أن وسائلَ الحرب التَّقْلِيدِيَّةِ لا تصلح في حروب مكافحة التمرد.

وفي حرب الخليج ضد صدام حسين، ظهر للأمريكيين أهمية استثمار القوة الجوية الدقيقة والأقمار الصناعية، مِمَّا جعل العقيدة العَسكَرِيَّة الأمريكيَّة تتجه نحو جعل الفضاء مجالاً عسكرياً تماماً مثله مثل البر والجو والبحر.

وبالعودة إلى واقع الحرب الثَّوْرِيَّة في سوريا، لابد من الرجوع إلى أَهَمّ المعارك الفاصلة، مثل حملات ريف حلب الجنوبي 2016، وحملة سقوط حلب المدينة 2017، وحملات بادية حماة شرق سكة الحديد 2018، وحملات طريق (M-5) سنة 2019...إلخ للخروج بتجارب مفيدة للمستقبل، وهُنَا تكمن أهمية التوثيق، توثيق أحداث المعارك والتكتيكات المستخدمة فيها والخسائر التي مُني بِهَا كُلُّ طرف والنتائج المترتبة عَنْهَا بِشَكْلٍ مهني، فمن دون ذَلِكَ لا يمكن الحديث عن تقييم حقيقي للماضي.

النظرياتُ

النظرية هِيَ نقطة انطلاق جيدة لصياغة العقيدة العَسكَرِيَّة، وَهِيَ قرينة الخبرة، فالتمازج والتكامل بينهما هُوَ الَّذِي يعطينا الدروس المستفادة، وبفضلها تنجو العقيدة من التصلب والجمود على الأساليب القديمة. إن التدافع بين النظرية والتجربة هُوَ الَّذِي يصنع التكيُّف،[1] ومن دون هَذَا الأخير لا يمكن مجاراة العدو في الحرب.

وكمثال عن ذَلِكَ، اعتمدت الولايات المتحدة بِشَكْلٍ كبيرٍ في صياغة عقيدتها لمكافحة التمرد على نظريات المنظِّر "دايفيد جاليولا" (داود قَلَّالة)، وَهُوَ ضابط فرنسي يهودي ذو أصول تونسية، شارك في العديد من الحملات الفرنسية لقمع التمرد خاصة في الجزائر، وأمضى كثيراً من وقته في الكتابة عن أدبيات الحروب الثَّوْرِيَّة ونظريات الثَّورَة المضادة. من أشهر كتبه "مكافحة التمرد: النظرية والتطبيق"،[2] وإن أثرَ هَذَا الكتاب واضح جداً في الأدلة الميدانية والمناهج العَسكَرِيَّة الأمريكيَّة، بل إن "بيترايوس" وزير الدفاع الأَمْرِيْكِيّ قد نصح قادته في أكثر من مناسبة بقراءة هَذَا الكتاب والاستفادة من نظرياته لصياغة العقيدة الأمريكيَّة.

(1) A PRIMER ON DOCTRINE, CURTIS E. LEMAY CENTER, FOR DOCTRINE DEVELOPMENT AND EDUCATIO, p 7.

(2) تكمن قيمة هَذَا الكتاب في كونه أصَّل للحروب الثَّوْرِيَّة وأدبياتها، وقد ترجمه مركز الخطابي للدراسات وأعد لَهُ عدة ملخصات وجداول توضيحية لا غنى للثوار عن قراءتها والاستفادة منها.

والجدير بالذكر، إن عودة النخب الثَّوْرِيَّة إلى النظريات العلمية مهمة جداً بالنسبة لهم، إذ لا يمكن للخبرة وحدها أن تغنيهم عن ذَلِكَ، وإن الاستفادة من الكتب والمراجع العلمية في صياغة عقائدهم العَسكَرِيَّة سيجنبهم الكثير من الخسائر.

وأَهَمُّ هَذِهِ المراجعِ المفيدةِ:

1. نشوب الثَّورَة المُسَلَّحَة.
2. الجانب الآخر من الجبل، تكتيكات المجاهدين في الحرب الأفغانية السوفياتية.
3. حرب مكافحة التمرد: النظرية والتطبيق.
4. الاحتلال بين النظرية والتطبيق.
5. تكتيكات طالبان جنوب أفغانستان.
6. الدفاع في الحرب الثَّوْرِيَّة.

وغيرها من الأعمال التي ترجمها أو ألفها مركز الخطابي، فجميعها مختص في الحرب الثَّوْرِيَّة وعلومها ونظرياتها.

المعتقداتُ الدينيةُ

لا يمكن استبعاد أثر الدين في الحروب، سواء القديمة أو المعاصرة، فالمعتقدات الدينية والقومية متجذرة في عمق الحضارة التاريخية لِكُلِّ أمة، ورغم أن الغرب يتجه الآن إلى المادية والإلحاد، إلا أنه لازال ينظر إلى الحرب في كثير من جوانبها بعين الدين، كما أن الأيدولوجيا القومية حاضرةٌ في معظم الحروب التي يخضوها.

إن للدين أهمية كبيرة في صياغة العقيدة العَسكَرِيَّة للجيش المسلم، فخوض الحرب عِنْدَ المسلمين كان أول أمره ممنوعاً في العهد المكي، ثُمَّ أذن فيه في العهد المدني، وأصبح واجباً على الأمة إلى قيام الساعة. عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ﷺ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"(1)

إذاً، فأول بنود العقيدة العَسكَرِيَّة الإسلامية: إن الحرب أصيلةٌ في أمتنا مَا دامت البشرية، من تخلى عَنْهَا أذله الله، ومن تمسك بِهَا نصره ورفع ذكره. عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ".(2)

ومن أثر الدين في العقيدة العَسكَرِيَّة أن الحرب عِنْدَ المسلمين إما "طلبٌ" لفتح البلدان ونشر الإسلام، أو "دفعٌ" لحماية المسلمين وأوطانهم، ففي الطلب يكفي أن يلتحق بالجيش من تتحقق بِهِ الحاجة، أما في الدفع فواجب على الجميع أن يشارك في الحرب بما يقدر عَلَيْهِ.

ومن أثره أيضاً في العقيدة العَسكَرِيَّة، أن هدف الحرب الإِسْتِرَاتِيجِيّ هُوَ إعلاء كلمة الله وحكمه وشرعه في الأرض: "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"(3) أما

(1) صحيح مسلم 1524/3 ح(1923).
(2) سنن أبي داود 274/3 ح(3462).
(3) صحيح البخاري 36/1 ح (123).

مكافأتها فَهِيَ إحدى الحسنيين، النصر أو الشهادة. ولها أيضاً أهداف تكتيكية ينبغي العمل عَلَيْهَا حَتَّى فيما لو كانت الظروف غير مناسبة لتحقيق الإِسْتِرَاتِيجِيَّة، مثل فكِّ الأسارى، ودفع الصائل عن الأنفس والأعراض والأموال، ودفع مراد العدو وتثبيطه عن الكرَّة على المسلمين وما إلى ذَلِكَ من الأهداف الفرعية.

ومن أثر الدين أيضاً في العقيدة العَسكَرِيَّة أنه يضبط كافة جوانب الحرب، فَهُنَاكَ أحكام شرعية وأخلاق إسلامية يَجِبُ أن تكون حاضرةً في كُلّ فروع الحرب وتفاصيلها، لا نزيغ عَنْهَا ولا نقدِّم غيرها، وإن هَذِهِ الأحكام لواسعة وشاملة بِحَيْثُ تتناول طريقة التعامل مع الأسرى والجرحى والقتلى والغنائم وما إلى ذَلِكَ، وحقوق الأمراء والأتباع وواجباتهم، وحدود الطاعة وأنواعها، إلى غير ذَلِكَ من التفاصيل الدقيقة التي يعجَزُ المقام عن ذكرها.

وكُلّ مَا سبق من باب التمثيل لا غير، وإلا فإن استنباط الأحكام الإسلامية التي تتعلق بِالحرب الحديثة لابد أن يكون بحثاً مستقلاً بذاته، يتصدر لَهُ طلبة العلم والعلماء المختصون في الشريعة.

السُّلطة الوطنية

مَاذَا ترغب الحُكُوْمَة من الجَيش أن يحققه؟ من هُمْ الأعداء؟ هَلْ تتبنى الدولةُ التوسع العنيف أم الحرب الناعمة؟ هَلْ تشجع التدخل المباشر أم الاستخباري؟ مَا مدى حرية القرار التي تتيحها الحُكُوْمَة للجيش؟ مَا القيم التي تعلنها الحُكُوْمَة وتريد للقوات المُسَلَّحَة أن تلتزم بِهَا؟ إن الإجابة الدقيقة عن هَذِهِ الأسئلة -وغيرها- سيُلقي بظلاله -بِكُلِّ تأكيدٍ- على العقائد العَسكَرِيَّة.

> تؤثر الأهداف السِّيَاسِيَّة للبلاد والموارد المتاحة التي تقدمها الحُكُوْمَة ووجود المعارضة السِّيَاسِيَّة من عدمه على صياغة العقيدة العَسكَرِيَّة، وسيكون للتغيرات في الهيكلية السِّيَاسَة والإِسْتِرَاتِيجِيَّة الوطنية أثرها على الطريقة التي ينبغي أن تُستخدم بِهَا القُوَات المُسَلَّحَة،[1] إضافة إلى هَذَا سيؤثر مدى التزام الحُكُوْمَة بالمواثيق الدولية وانخراطها في المنظمات والمؤسسات الدولية على طريقتها في خوض الحرب.

على سبيل المثال هُنَاكَ تشابه كبير -إن لَمْ يكن تطابقاً- بين العقائد العَسكَرِيَّة في الدول الغربية، يعود ذَلِكَ بالأساس إلى انخراطهم في حلف الناتو، الَّذِي يحدد مفهوماً واضحاً للعقيدة العَسكَرِيَّة في مختلف المجالات، وذَلِكَ لأهمية وجود توافق بين الدول الأعضاء حول طريقة خوض الحرب. ويمكننا قول نفس الشيء بالنسبة للدول الشرقية التي قاتلت لمدة طويلة تحت لواء الاتحاد السوفيتي.

من جهة أخرى، لطالما تأثرت عَمَلِيَّات التصنيع والتسليح والانتشار في الجَيش الأَمْرِيْكِيّ بالميزانية التي يصادق عَلَيْهَا الكونغرس، إذ تتقلص هَذِهِ العَمَلِيَّات كلما ضيق الأخير على الموارد المقدمة للقوات المُسَلَّحَة. ثُمَّ إن الإِسْتِرَاتِيجِيَّة التي يقرها رئيس الولايات المتحدة أو روسيا على سبيل المثال هِيَ التي تحدد الأهداف العَسكَرِيَّة، إذ يقوم الجَيش مباشرةً بإعادة صياغة عقيدته

(1) MG (ret) Kees Homan, Doctrine.

على ضوء المخاطر والتهديدات التي تحددها هَذِهِ الإِسْتِرَاتِيجِيَّة في كُلّ مرة، وفي السنوات الأخيرة انسحبت القُوَات الأمريكيَّة من أفغانستان والعراق وقللت وجودها في الشرق الأوسط، استجابة للحكومة التي جعلت أولى أولوياتها مجاراة الصعود الصيني الَّذِي أصبح يمثل التهديد الأساسي للولايات المتحدة.

وكمثال آخر؛ اتخذ الجَيش الرُّوسِيّ قراراً بغزو أوكرانيا سنة 2022م استجابةً لسياسة الرئيس بوتن، الَّذِي كان قد نشر في وثيقة الأمن القومي قبل سنوات من هَذَا الغزو أن حلف الناتو -الَّذِي يتوسع على حدوده ويريد أن يضم أوكرانيا- قد أصبح أخطر أعداء روسيا.[1]

(1) انظر العقيدة الرُّوسِيَّة: (https://rg.ru/documents/2014/12/30/doktrina-dok.html)

القُوَاتُ الصديقةُ والحليفةُ

الشكل (13): عناصر فهم القُوَات الصديقة لصياغة العقيدة العَسكَرِيَّة

تماماً كما تنطلق العقيدة العَسكَرِيَّة من دراسة التهديدات والأعداء المحتملين، فإنها ينبغي أن تنطلق في نفس الوقت من معرفة دقيقة بالقوات الصديقة والحلفاء، وذاك أن الاستخدام الأمثل للقوة ينبني على معرفة القائد للقدرات المتاحة لَهُ والقُوَات التي بحوزة عدوه. يتحدث عن ذَلِكَ سن أتزو المنظر الصيني المشهور فيقول: "عِنْدَمَا تعرف العدو، وتعرف قدراتك، فأنت لا شك سوف تحرز الانتصار".[1]

تتأثر العقيدة العَسكَرِيَّة الجديدة عادة بالعقيدة التي سبقتها، لأنها ستكون امتداداً طبيعياً لَهَا، وتستجيب بِشَكْلٍ أساسي لأهداف القِيَادَة العليا، كما تراعي بالحسبان الموارد المتاحة للعمل المُسَلَّح (البشرية والمادية) والقدرات التصنيعية والتقنية الموجودة في الدولة، أو المتوفرة من الدول الحليفة، "إن الدولة التي لا تمتلك قاعدة صناعية رصينة تُمَكِّنُهَا من إنتاج أسلحتها ومعداتها الحربية، وتعتمد على استيراد مَا تحتاجه منها من الخارج، تكون أسيرة الجهات التي تجهزها

(1) سن أتزو، فن الحرب، ص 66.

باحتياجاتها، والتي تكون عرضة للانقطاع وقت الحاجة والأزمات، وعِنْدَ تضارب المصالح وتبدل التحالفات، فضلاً عن خضوع عقيدتها لتأثيرات العقيدة الأجنبية المهيمنة".[1]

إضافة إلى ذَلِكَ، إن للرأي العام (الداخلي خاصة) وطبيعة المقاتلين دور مباشر في تحديد العقائد وتوجيهها، فلن تكون الحركة والمرونة التي يتيحها المقاتل العقدي هِيَ نفسها في حالة المقاتل المرتزق، ولن تكون المبادرة في حال ارتفاع المعنويات وتأييد الشعب للحرب بنفس القدر في حال كانت الحرب لا تحظى بتأييد شعبي.

وعلى سبيل المثال، إن طبيعة المقاتل الياباني والتأييد الشعبي الكبير للحرب في اليابان هُوَ الَّذِي سمح للقوات العَسكَرِيَّة اليابانية أن تعتمد تكتيك "الكاميكازي". تستخدم الكلمة للإشارة إلى هجماتٍ فدائية قام بِهَا الطيارون اليابانيون ضد سفن الحلفاء في الجزء الأخير من حملة المحيط الهادي إبان الحرب العالمية الثانية. حَيْثُ كان الطيارون (الكاميكازي) يصطدمون بسفن الحلفاء عمداً بطائراتهم المحملة بالمتفجرات والطوربيدات وخزانات الوقود المملوءة بهدف تفجيرها.

يمكننا الاستدلال أيضاً بالجماعات الإسلامية المُسَلَّحَة، التي ألجأتها قدراتها التسليحية المتواضعة، إلى استخدام العَمَلِيَّات الفدائية، ففي غياب الصواريخ الدقيقة والطائرات الحربية، اعتمدت على مقاتليها العقديين لقيادة السيارات المفخخة وتفجيرها في مراكز العدو خلف خطوط العَمَلِيَّات.

(1) طارق محمود شكري، العقيدة العَسكَرِيَّة وتطوراتها، ص 29.

ختاماً

قبل أن أختم الحديث عن مدخلات العقيدة العَسكَرِيَّة والمنطلقات التي يعتمد عَلَيْهَا القادة لصياغتها، لا يفوتني أن أذكِّر بقاعدتين مهمتين في هَذَا الصدد:

1. لا يمكن للقوات المُسَلَّحَة أن تصنع لنفسها عقيدة سليمة وفعالة إلا إذا أخذت في عين الاعتبار هَذِهِ المنطلقات جميعها، فلا بد من التوازن في النظر إلى هَذِهِ المدخلات وعدم إهمال أحدها على حساب الأخرى، وذاك أن الحرب في حقيقتها تدافع بين جميع هَذِهِ العناصر، والنصر فيها يعتمد على التوفيق بينها، ومعظم الأخطاء العَسكَرِيَّة تقع بسبب اتخاذ القرارات انطلاقاً من بعض هَذِهِ المنطلقات وتناسي بعضها الآخر.

2. يَجِبُ أن تستند العقيدة إلى التحليل النقدي والدراسة المتأنية والمعرفة الحكيمة، فلا ينبغي أن تتأثر بردود الأفعال والأفكار الارتجالية وضغوط القِيَادَة السِّيَاسِيَّة، ولا يصح أن تنبني لتبرير قرار سياسي فردي. لا بد أن تكون العقائد العَسكَرِيَّة بعيدة عن الصراعات السِّيَاسِيَّة الداخلية ومعارك الميزانية.[1]

(1) A PRIMER ON DOCTRINE, CURTIS E. LEMAY CENTER, FOR DOCTRINE DEVELOPMENT AND EDUCATIO, p 7.

كَيْفَ تَتَكَوَّنُ العقيدة؟

يستخدم محترفو الجَيش العقيدة في سياقين: (1) الدراسة والتفكير، (2) إجراء العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة (التخطيط والإعداد والتنفيذ والتقييم).[1]

يمكن القول إن هَذَا الفَصْل شكَّل تحدياً كبيراً بالنسبة لي، لقد احتاجت مني صياغتُه الاطلاعَ بِشَكْلٍ واسع على المصادر المختصة، وفهمها بعمق، ليس فهم النصوص المكتوبة فيها فحسب، وإنما فهم المنهجية والطريقة التي صُممت وفقها، والعناصر والفهارس التي انبنت عَلَيْهَا هَذِهِ العقائد. وبعد جُهدٍ كبيرٍ للإحاطة بِهَذَا الموضوع؛ تبين لي أن الجيوش توجهت في تصنيف عقائدها العَسكَرِيَّة إلى عدة مسارات، فمنها من يقسم أبواب العقيدة العَسكَرِيَّة إلى عناوين عامة حسب موضوعها، مثل العقيدة العَسكَرِيَّة الرُّوسِيَّة التي تتضمن أربعة عناصر أَسَاسِيَّة:[2]

أولاً: أفكار عامة، تتحدث عن تعريف العقيدة العَسكَرِيَّة لدى الاتحاد الرُّوسِيّ، ومنطلقاتها، وخصائصها، والمفاهيم الأَسَاسِيَّة المستخدمة فيها.

ثانياً: الأخطار والتهديدات العَسكَرِيَّة لروسيا، وفي هَذَا العنصر تعرب روسيا عن أَهَمّ المخاطر الخارجية والداخلية التي تهدد أمنها، وأَهَمّ أعدائها الَّذِينَ تسعى لمواجهتهم.

ثالثاً: السِّيَاسَة العَسكَرِيَّة للاتحاد الرُّوسِيّ، ويتحدث عن أنشطة الاتحاد الرُّوسِيّ لتلافي الأخطار والتهديدات، وأساليب استخدام القُوَات المُسَلَّحَة ومهامها الرئيسية في زمن السلم والحرب، وتطوير النظام العَسكَرِيّ، والتحضير والاستعداد للتعبئة العَسكَرِيَّة.

(1) USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 1-8.

(2) انظر العقيدة الرُّوسِيَّة: (https://rg.ru/documents/2014/12/30/doktrina-dok.html)

رابعاً: الدعم العَسكَرِيّ والاقتصادي للدفاع، ويتناول توجيهات حول عَمَلِيَّات التسليح، وتزويد القُوَات بالموارد المادية، وتشجيع الصناعة العَسكَرِيَّة، والتعاون العَسكَرِيّ والسِّيَاسِيّ مع الدول الأجنبية.

لكن إذا أمعنا النظر في العقائد الغربية وعلى رأسها الأمريكيَّة؛ سنجد أن الخبراء الأمريكيين ينطلقون من اعتبارات أخرى في تصنيف العقيدة العَسكَرِيَّة، فهم لا يقسمون العقيدة حسب مواضيعها فحسب؛ وإنما أيضاً حسب طبيعة نصوصها من حَيْثُ الإحكام أو الإطلاق، والتنفيذ الحرفي أو الاجتهادي، فالنصوص المطلقة والعامة جداً هِيَ "الأساسيَّات"، والنصوص الأقل إطلاقاً هِيَ "التكتيكات"، أما النصوص التفصيلية التي تضع خطوات دقيقة وتوجيهات محددة فإنها "التقنيات"، ثُمَّ تأتي "الإجراءات" وَهِيَ نصوص أكثر دقة، ويَجِبُ على القائد أن ينفذها حَرفياً، بينما التقنيات تعتمد على اجتهاد القائد في تطبيقها، وله صلاحية تكييفها حسب الموقف. ثُمَّ تأتي "الرموز والمصطلحات والأشكال" وَهِيَ أكثر دقة من سابقاتها ويتحتم على جميع أفراد القُوَات المُسَلَّحَة أن يلتزموا بِهَا كما هي.

الشكل (14): أصنافُ معلوماتِ العقيدة العَسكَرِيَّةِ وفقَ المنظورِ الأَمْرِيْكِيِّ

وفي المحصلة "تتضمن العقيدة العَسكَرِيَّة الأمريكيَّة خمسة عناصر رئيسية للمعلومات:[1]

أولاً: الأساسيات، وَهِيَ القواعد الشاملة ذات الأهمية المركزية، توجه وترشد القُوَات العَسكَرِيَّة في خوض الحرب. إنها وصفية وعامة، وتحتاج إلى فكر واسع وإبداع خلَّاق للاستفادة منها.

ثانياً: التكتيكات، وتشمل الحركة والمناورة المنظمة للوحدات في ظروف متغيرة مثل التضاريس، والعدو، والمناخ، وذَلِكَ لتحقيق هدف عسكري من العملية الدفاعية أو الهجومية. تتطلب التكتيكات دائماً الاجتهاد في التطبيق، وغالباً مَا تتطلب التفكير الإبداعي.

ثالثاً: التقنيات، وَهِيَ طرق وخطوات غير إلزامية تستخدم لأداء المهام أو الوظائف العَسكَرِيَّة، تعتبر أكثر تحديداً من التكتيكات، لكنها تتشابه معها في كونها وصفية يعتمد تطبيقها على إبداع القائد حسب الظروف.

رابعاً: الإجراءات، وَهِيَ خطوات قياسية ومفصلة، توضح كيفية أداء المهام -الثابتة والمتكررة- بالتحديد الدقيق، وتنفيذ الأوامر حرفياً، فَهِيَ إلزامية التنفيذ بغض النظر عن الظروف. على سبيل المثال كيفية ضبط جهاز اللاسلكي أو تفكيك السلاح... ولا تحدد الإجراءات كيفية القيام بالأشياء فحسب، بل توضح أيضًا ما يجب القيام به، ومتى، وما لا يجب فعله.[2]

خامساً: المصطلحات والرموز، هِيَ كلمات وأشكال محددة تمثل لغة الجَيش، لتسهيل التواصل فيما بين القُوَات، تُستخدم مثلاً في الخرائط واللافتات والجداول البيانية...إلخ فَهِيَ إلزامية ولا يُسمح أبداً الخروجُ عَنْهَا.

(1) USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 2-2.

(2) Harald Høiback, Understanding Military Doctrine, A multidisciplinary approach Cass Military Studies, Routledge, London–New York, 2013, p 21.

وهُمْ -أي الأمريكيون- إضافة إلى تقسيمهم نصوصَ العقيدة العَسكَرِيَّة إلى أساسيات وتكتيكات وتقنيات وإجراءات ورموز؛ فإنهم يوزعونها أيضاً حسب الموضوع، فتجد على سبيل المثال كتاباً عن العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة، وآخر عن الاستخبارات العَسكَرِيَّة، وآخر عن النيران، وآخر عن الدفاع والهجوم، إلى غير ذَلِكَ من المواضيع التي تناولتها وثائق العقيدة العَسكَرِيَّة الأمريكيَّة.[1]

لكن أيهما أفضل؟ هَلْ ينبغي على القوى الثَّوْرِيَّة الصاعدة -أثناء صياغة عقيدتها- أن تعتمد النموذج الأَمْرِيْكِيّ أم الرُّوسِيّ؟

الحقيقة، لا يمكنني الإجابة على هَذَا السؤال بِشَكْلٍ حاسم، أو فلنقل لا ينبغي الإجابة عنه بعيداً عن دراسة واقع القوى الثَّوْرِيَّة، التي لا زالت غالباً في طور التشكل والتأسيس، ولا زالت في أول خطوة من عمرها كقوة صاعدة في مسيرة التاريخ. إنني لا أجد النموذج الرُّوسِيّ صالحاً إلا إذا كانت القُوَات الثَّوْرِيَّة تنوي أن تجعل عقائدها ملخصة جداً وذات دوافع سياسية كما فعل الروس، لكنها إن أرادت أن تصنع عقائد مفصلة منطلقها الوحيد هُوَ حاجة القُوَات العَسكَرِيَّة للغةٍ مشتركة وإطارٍ مفاهيمي موحَّد، فلا بد أن تفكر في نموذج آخر.

لكن أيضاً لا أعتقد أن النموذج الأَمْرِيْكِيّ صالح لقوةٍ ناشئة وحديثة السن، فإن الخبراء الأمريكيين لَمْ يتمكنوا من توزيع عقائدهم على هَذِهِ العناصر إلا بعد مئة سنة من كتابة العقائد وتحديثها بِشَكْلٍ متكرر، إن موروثهم الهائل والمنظم هُوَ الَّذِي مَكَّنَهُم من تقسيمه إلى أساسيات وتكتيكات وتقنيات وإجراءات ورموز كما سبق وتحدثنا، وإنهم لو أرادوا فعل ذَلِكَ قبل قرنٍ مثلاً لما تمكنوا منه، لأن أفكارهم لَمْ تكن ناضجة بِهَذَا القدر في ذَلِكَ الوقت.

(1) لمزيد من الاطلاع انظر الموقع الرَّسْمِيّ لعقائد الجَيْش الأَمْرِيْكِيّ (https://armypubs.army.mil/).

إذاً، لأن الجَيش الثوري لا زال في أول خطواته نحو صياغة العقيدة العَسكَرِيَّة؛ فلا أظن أن الطريقة الأمريكيَّة في تقسيم العقيدة ستكون صالحة لَهُ أيضاً. مَا أراه صالحاً كقاعدة انطلاق، وكنموذج أوليٍّ يمكن تعديله فيما بعد مع الزمن؛ أن تُقسم مخرجات العقيدة العَسكَرِيَّة إلى ثلاثة عناصر:

1. أساسيات: وَهِيَ القواعد العامة التي ترشد القُوَات المُسَلَّحَة في خوض الحرب.
2. فروع رئيسية: وَهِيَ الأساليب المستخدمة في مستويات الحرب الثلاثة، الإِسْتِرَاتِيجِيّ والعملياتي والتكتيكي، إضافة إلى تحديد نوع الحرب التي ستنبني عَلَيْهَا هَذِهِ المستويات.
3. فروع ثانوية: وَهِيَ مجالاتُ وأنشطة الحرب الأخرى، مثل التنظيم والقيادة والتحكم والتسليح والاستخبارات والاتصالات والتدريب والهندسة العَسكَرِيَّة وما إلى ذَلِكَ.

وسيأتي معنا في الفصول التالية لمحةٌ وافيةٌ عن كُلٍّ منها.

المَبْحَث الأول: الأساسيات

ليست العقيدة في جوهرها إلا إجابةً عن مجموعة كبيرة من الأسئلة، وهَذِهِ الأسئلة يمكننا تقسيمها إلى ثلاث حزم مركزية (أساسيات، فروع رئيسية، فروع ثانوية)، يَتُمُّ الإجابة عَنها بالتوالي لنحصل على عقيدة عسكرية متماسكة.

لكن يُشترط أثناء الإجابة أن تُحدد المنطلقات التي سبق ذكرها، تُحدَّد بِشَكْلٍ دقيق حسب طبيعة الصراع الدائر، إذ لا بد أن يؤخذ بالحسبان جميع هَذِهِ الاعتبارات التالية عِنْدَ الإجابة عن كُلّ سؤال: (التجارب والخبرات السابقة، النظريات العلمية، المعتقدات الدينية، السِّيَاسَة الوطنية، والأعداء والتهديدات، الجغرافيا والديمغرافيا، التكنولوجيا، الاعتبارات المدنية، وأخيراً: القُوَات الصديقة).

أول عنصر من العقيدة هُوَ الأساسيات، وأسميناه كذلك لِأَنَّهُ يمثل الأصول التي ستنبني عَلَيْهَا العقيدة العَسكَرِيَّة وتتفرع، وَهُوَ يتضمن خمسة أقسام:

الشكل (15): العنصر الأول في العقيدة العَسكَرِيَّة -الأساسيات

فلسفةُ الحرب

أول مَا ينبغي كتابته واعتماده في العقيدة العَسكَرِيَّة هُوَ موقفنا من الحرب، إنها بمثابة رؤيتنا الخاصة لِهَذَا الصراع العنيف، وفلسفتنا في شرح أبعاده ودوافعه البشرية وحقيقته الكونية.

يمكننا تحديد فلسفة الحرب عبر الإجابة على هَذِهِ الأسئلة التالية:

1. وما هُوَ تعريفنا للحرب؟
2. لِمَاذَا ينبغي علينا خوضها؟
3. مَا هِيَ الأعباء الأَسَاسِيَّة والمهام الملقاة على عاتق الجَيش؟

مَا هُوَ تعريفنا للحرب؟

لَمْ تصنع العقيدة العَسكَرِيَّة إلا لتلبية متطلبات الحرب، فمن الطبيعي أن تكون الخطوة الأولى في صياغة العقيدة هِيَ تعيينُ مفهوم لِهَذِهِ الحرب، واعتماد معنى لَهَا، يساعدنا فيما بعد في تحديد الدوافع التي تجعلنا نخوضها. ينظر الجَيش الأَمْرِيْكِيّ للحرب على أنها صدام عنيف بين قوتين أو كثر، وتتميز بثلاثة عناصر أَسَاسِيَّة:[1]

(1) إنها فوضوية بطبيعتها ومعقدة، بِحَيْثُ يصعب تحديد سببها أو نتيجتها بِشَكْلٍ مسبق، وعلى القُوَات العَسكَرِيَّة أن تعترف بهذه الحقيقة، وأن تجد سبيلاً لتوظيف هَذِهِ الخاصية لصالحها والحصول على ميزة غير متكافئة.

(2) وَهِيَ صراع إرادات إنساني بالأساس، وليست عَمَلِيَّة ميكانيكية أو معادلة رياضية، إنها صراع يحاول فيه كُلّ طرف تغيير سلوك الآخر، إنها منطقة الخوف والشجاعة، الجبن والرجولة،

(1) انظر: (USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 3-1)

الإخوَّة والقسوة، الجشع والتضحية، وعلى القادة استثمار ذَلِكَ بين قواتهم، وتوقعه في صفوف عدوهم.

(3) الحرب تحدث بين السكان، إما بِشَكْلٍ مباشر أو غير مباشر، فإنها إما أن تحدث في موطن شعبنا، أو أن جيشنا سيحمل إرادة شعبنا لخوض غمارها خارج حدود الوطن. ولهذا السبب، ينبغي علينا دائماً وأبداً استحضار دور السكان في الحرب سواء من جهة العدو أم الصديق.

وهَذَا التعريف، قريب جداً من التعريف الشرقي، لكن يمكن لجيشنا أن يعتمد تعريفاً خاصاً بِهِ ينطلق من اعتباراته الخاصة، وخاصة المنطلق الديني والثقافي، يمكننا مثلاً أن ننطلق من التعريف اللغوي في الاصطلاح العربي، وَهُوَ أن الحرب: قتال العدو، فإن كان القتال مشروعاً والطرف المشارك فيها مسلماً فإنها توافق معنى الجهاد في سبيل الله. قال ﷻ: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الأنفال:57].

لِمَاذَا ينبغي علينا خوضها؟

تختلف الإجابة عن هَذَا السؤال بين جَيش وآخر، فالجيوش التي تريد نقل رسالتها إلى الأمم الأخرى ولها مصالح إقليمية ودولية؛ تحارب من أجل التوسع، أو على الأقل من أجل الحفاظ على مصالحها الحيوية خارج البلاد، أما الجيوش التي تريد الحفاظ على وجود أمتها فحسب، ولا تحمل أبعاداً توسعية؛ فإن وظيفتها الأَسَاسِيَّة هِيَ الدفاع عن أوطانها وشعوبها.

من هَذَا المنطلق، ينبغي على كُلّ جَيش أن يحدد ضمن عقيدته الأسباب التي تدفعه لخوض الحرب، وذَلِكَ أيضاً انطلاقاً من الاعتبارات التي سبق ذكرها في الفَصْل الثالث، إذ لا بد أن يكون للدين والتاريخ والتهديدات المحيطة أثرٌ كبير في الإجابة عن هَذَا السؤال. يمكننا على سبيل المثال أن نقدم نموذجاً من واقع الحرب في سوريا، يساعد الثوار هُنَاكَ على إدراك هَذَا الأمر، فانطلاقاً من واجبنا الديني كمسلمين، يمكننا الإجابة على "لِمَاذَا نحارب؟" بالصيغة التالية:

1. لنثبت صدقنا مع الله ﷻ في استجابة أمره والتضحية في سبيله.
2. لنشر دعوة الإسلام، وإخراج الناس من حكم الطغاة والظلمة إلى حكم الله ﷻ.
3. لحماية أمتنا والدفاع عن دمائها وأوطانها وكرامتها وأعراضها.

لكن إذا أخذنا في عين الاعتبار أيضاً طبيعةَ عدونا (الاحتلال الرُّوسِيّ وقُوَات الأسد) الَّذِي يتبرص بنا في أي لحظة، وتاريخ الطائفة النصيرية[1] في اضطهاد أمتنا وشعبنا، يمكننا أن نجيب على "لِمَاذَا يَجِبُ أن نحارب نظام الأسد بالتحديد؟" بالشكل التالي:[2]

1. لأن هَذَا النظام يتزعمه رئيس نُصيري باطني، ويتربعُ على مفاصله وقيادته رجالٌ من طائفته الدولةَ، وهَذِهِ الفرقة أجمع علماء المسلمين على كفرها ووجوب الخروج عَلَيْهَا وخلعها من سدة الحكم.
2. لِأَنَّهُ قام على معاداة الإسلام والسنة ونشر الكفر والطعن في ثوابت الدين وشتم المقدسات.
3. لِأَنَّهُ صائل معتدٍ على جميع الحرمات من الأنفس والأعراض والأموال، وتسبب في مقتل أكثر من نصف مليون مسلم، وتشريد أكثر من أربعة عشر مليوناً آخرين، وتدمير المساكن والحقول والمساجد.
4. لأن نظام الأسد مَكَّنَ لجيوش الروس والروافض، وسلَّمهم ثروات البلاد وخيراتها، ولا شكَّ أن مقاومة المحتلين وإخراجهم واجب حتمي.

---

(1) الطائفة النصيرية ظهرت في القرن الثالث من الهجرة، وتعدُّ هَذِهِ الطائفة من غلاة الشيعة الباطنية، الَّذِينَ ادعوا الإلهية في علي بن أبي طالب ﷺ. وكان اسمهم الأول "النصيرية" ثُمَّ تسموا بعد ذَلِكَ بـ "العلويين" تمويهاً على الناس، وتغطية لحقيقة مذهبهم، وهُمْ يحرصون على هَذَا الاسم الآن. مؤسس هَذِهِ الطائفة هُوَ محمد بن نصير البصري النميري (توفي سنة 270 هـ) الَّذِي ادعى النبوة والرسالة.

(2) هَذِهِ الفقرات مستوحاة من منهاج التدريس الَّذِي يَتُمُّ تعليمه للمجندين الجدد في إحدى الدورات التدريبية في سوريا، مادة فقه الجهاد، المَبْحَث الأول.

5. لِأَنَّهُ أسر أكثر من نصف مليون مسلم، من بينهم النساء والشيوخ والأطفال، ومات منهم تحت التعذيب والإعدامات الوحشية عشرات الألوف، ومعلوم أن من أوجب الواجبات استنقاذ الأسرى والأسيرات.
6. لأن إقامة كيان ونظام إسلامي في سوريا واجبٌ إلزامي، فَهِيَ بلد مسلم وشعبها أغلبيته مسلمة، ومن البديهي ألا يحكمه إلا نظام مسلم.

هَذَا على سبيل المثال، وإلا فإن الإجابة الدقيقة عن هَذَا السؤال تحتاج تأنياً أكثر ونقاشاً طويلاً بين نخب الثوار في سوريا، لِأَنَّهُ سيكون قاعدة انطلاق لكافة الممارسات العَسكَرِيَّة، وهَذَا الموضوع غاية في الأهمية لِأَنَّهُ يمثل الدوافع الشرعية التي ستُمِدُّ الجنودَ بالحماسة المطلوبة للحرب، وستحفزهم على تحمل الأمانة والمسؤولية الملقاة على عاتقهم.

مَا هِيَ الأعباءُ الأَسَاسِيَّةُ والمهامُ الملقاةُ على عاتقِ الجَيش؟

بعد أن نحدد مفهوم الحرب والأسباب التي تدفعنا لخوضها، يبقى من الضروري أن يَتُمَّ توضيحُ المهام المنوطة بالجيش والقُوَات المُسَلَّحَة. على سبيل المثال، جاء في عقيدة الجَيش الأَمْرِيْكِيّ: "جيشنا موجود للدفاع عن الوطن وحماية مصالح أمتنا. نَحْنُ نستجيب لنداء الأمة للخدمة مَتَى وحيثما كان ذَلِكَ مطلوبًا. بصفتنا القوة الحربية البرية البارزة في العالم، فنحن قادرون على إدارة الأزمات (..) وهَذَا يشمل الدخول القسري من البر أو البحر أو الجو، لقمع العدو، أو تعزيز المكاسب في ساحة المَعْرَكَة أو تسهيل السلام المستدام أو دعم السلطات المدنية في الداخل". (1)

(1) Army doctrine publications, ADP - 1, the army, Preface, 31/7/2019.

من جهة أخرى توضحُ وثيقةُ العقيدة الرُّوسِيَّةِ الأعباءَ الملقاةَ على عاتق الجَيش، في النقاط التالية:[1]

- الرد في الوقت المناسب على الأخطار السِّيَاسِيَّة أو العَسكَرِيَّة التي تهدد الاتحاد الفيدرالي الرُّوسِيّ وحلفائه.
- الجاهزية والاستعداد الدائم للقوات التَّقْلِيدِيَّة والنووية.
- حماية الحدود القومية والدفاع عَنْهَا.
- زيادة درجة التكامل في الدفاع الجوي.
- حماية أجهزة ومقدرات أمن المعلومات وتكنولوجيا الاتصال.
- القيام بعمليات إستراتيجية انفرادية أو متعددة ضدَّ قُوَات العدو.

لكن انطلاقاً من طبيعة الواقع المعقد في الساحة الثَّوْرِيَّة، يمكن أن يكون للجيش مهامٌ عديدةٌ منوطةٌ بِهِ، فإضافةً إلى دوره في صدِّ أي حملات عسكرية متوقعة على المناطق المحررة، سيتوجب عَلَيْهِ تَنْظِيْم عَمَلِيَّات استباقية في عمق مناطق العدو، ومساعدة السلطات المدنية في ضبط الأمن الداخلي، وتحقيق ردع إستراتيجي يثني العدو عن استهداف مراكزنا الحيوية... هَذَا على سبيل المثال، وإلا فإن النخب الثَّوْرِيَّة يقع على عاتقها أن تضع بين يديها جميع الاعتبارات المؤثرة، وتحدد بِشَكْلٍ واضح مهام القُوَات المُسَلَّحَة.

(1) بيرت تشابمان، العقيدة العَسكَرِيَّة دليل مرجعي، ص 141.

مبادئُ الحرب

العنصر الثاني في أساسيات العقيدة هُوَ مبادئ الحرب، وَهِيَ مجموعةٌ من الأسس المختصرة جداً، والمستوحاة من فلسفة الحرب وتجارب التاريخ، توجِّه وتُرشد وتضبط التفكير العَسكَرِيّ أثناء خوض الحرب. يمكن القول إن أشهر من أصَّل لوجود هَذِهِ المبادئ هُوَ الجنرال البريطاني جون فولر،[1] فقد تحدث عَنْهَا بِشَكْلٍ مستفيضٍ في كتابه المشهور "أسس علم الحرب"، واعتبر أن المبادئ العَسكَرِيَّة تسعة:

الشكل (16): مبادئُ الحرب عِنْدَ الجنرالِ فولر

(1) MG (ret) Kees Homan, Doctrine.

الجدير بالذكر أن هُنَاكَ بعض الجيوش تجعلها أكثر من تسعة، بينما يختصرها بعضهم الآخر ويجعلها أقلَّ من ذَلِكَ. على سبيل المثال؛ تضيف بريطانيا إليها مبدأ آخر وتجعلها عشرة، بينما تزيد فيها هولندا حَتَّى توصلها إلى اثني عشر مبدأً، وفي هَذِهِ المسألة خلاف بين الأوساط العَسكَرِيَّة. وكُلّ مَا على النخب الثَّوْرِيَّة التي تسعى لتحديد عقيدتها العَسكَرِيَّة أن تنطلق من النظريات العلمية الموجودة في هَذَا الباب ومن تاريخ تجاربها وخبرتها السابقة لتجيب على السؤال التالي: مَا أَهَمّ المبادئ العَسكَرِيَّة العامة التي ينبغي أن تؤطر عملياتنا العَسكَرِيَّة في كُلّ الأحوال وفي مختلف الظروف؟

قيمُ الحرب

هِيَ مجموعةٌ من القيم السامية التي يحددها كُلّ جَيش حسب أعرافه ومعتقداته الوطنية، ويعتبرها أَسَاسِيَّة ليتحلى الجندي بالأخلاق والروح المعنوية اللازمة في الحرب، لِذَلِكَ عادةً مَا يطلق على هَذِهِ القيم "العقيدة القتالية"، لأنها تشد عزمه وتشحذ همته وترفع معنوياته وتعزز قدرته على الثبات والتضحية أثناء القتال.

وبهذا المنظور، فإن العقيدة العَسكَرِيَّة أوسعُ بكثيرٍ من العقيدة القتالية، فليست الأخيرة إلا جزءاً صغيراً من الأولى، وبهذا يتضح لك الفرق بينهما، وكَيْفَ أن كثيراً من الناس يخلط بين المفهومين.

يمكن تقسيم هَذِهِ القيم إلى ثلاثة أصناف أَسَاسِيَّة: قيم الجَيش، قيم القائد، قيم الجندي، وتتم صياغتها عبر الإجابة على هَذِهِ الأسئلة:

1. مَا أَهَمّ القيم الجماعية التي ينبغي أن يؤمن بِهَا جيشنا ويستقيم عَلَيْهَا؟
2. مَا أَهَمّ القيم التي ينبغي للقائد في جيشنا أن يلتزم بِهَا؟
3. مَا أَهَمّ القيم التي يَجِبُ على الجندي العمل بِهَا؟

مَا أَهَمّ القيم الجماعية التي ينبغي أن يؤمن بِهَا جيشنا ويستقيم عَلَيْهَا؟

كمثال عن ذَلِكَ، يختار الجَيش الأَمْرِيْكِيّ لنفسه القيم التالية:[1]

- الولاء: للدستور والجَيش والوحدة التي تعمل فيها.
- الواجب: أن تكون وفِـيّاً بالتزاماتك، لكن مع فريق عملك.
- الاحترام: عامل الناس كما ينبغي أن يُعَامَلُوا.
- الإخلاص: تقديم مصلحة الأمة والجَيش ومرؤوسيك قبل مصلحتك.
- النزاهة: صدقك وأمانتك في تنفيذ مهامك دون غش أو خداع.

(1) www.army.mil/values.

- **الشجاعة: مواجهة الخوف أو الخطر أو الشدائد (الجسدية أو المعنوية).**
- **الشرف: الخدمة المتفانية والتزام قيم الإخلاص والشجاعة والنزاهة في حياتك اليومية.**

مَا أَهَمُّ القيمِ التي ينبغي للقائدِ في جيشنا أن يلتزم بِهَا؟

إضافة إلى القيم العامة؛ يلقن الجَيش الأَمْرِيْكِيّ ضابط الصف لديه عباراتٍ خاصةٍ يرددها باستمرار حَتَّى تترسخ في وجدانه وقلبه:

أنا الأكثر احترافاً ومهنيةً، أنا ضابط الصف، قائد الجنود. بصفتي ضابط صف، أدرك أنني عضو في قُوَات تحظى باحترام راكمته سنوات الخدمة الطويلة .. أنا فخور بفيلق ضباط الصف وسأعمل على الدوام كي ينال الفيلق وبلدي التقدير الَّذِي يستحقه بغض النظر عن الوضع الَّذِي أجد نفسي فيه. لن أستخدم رتبتي أو منصبي لتحقيق المنفعة أو الربح أو السلامة الشخصية.

الكفاءة هِيَ شعاري، وستظل مسؤولياتي الأَسَاسِيَّة ماثلةً في ذهني، وَهِيَ: إنجاز مهمتي ورعاية جنودي. سأبذل قصارى جهدي لأحافظ على كفاءتي الفنية والتقنية .. يستحقُ جميعُ الجنودِ قيادةً متألقةً؛ سأكونُ تِلْكَ القِيَادَة. أعرف جنودي وسأقدِّم احتياجاتهم على حاجاتي، وسأتواصل باستمرار مع جنودي ولن أتركهم أبداً في غفلة عما يدور حولهم، سأكون مُنصفاً وحياديًا عِنْدَمَا أتقدَّم باقتراح مكافأة أو عقوبة.

سيحظى ضباط وحدتي بأطول وقت ممكن لإنجاز واجباتهم؛ ولن يضطروا إلى إنجاز عملي، سأكسب احترامهم وثقتهم كما أكسب احترام جنودي. سأُخلِص لأولئك الَّذِينَ أخدم معهم؛ سواءً كانوا أكبر مني سناً أو يماثلونني في العمر أو أصغر مني. لن تنقصني المبادرة، وسرعة اتخاذ الإجراء المناسب في حالة عدم وجود أوامر. لن أساوم على نزاهتي ولا شجاعتي الأخلاقية، لن أنسى ولن أسمح لرفاقي أن ينسوا أننا: محترفون وضباط صف وقادة. [1]

(1) https://www.army.mil/values/nco.html

مَا أَهَمّ القيم التي لا ينبغي على الجندي في جيشنا أن يخالفها؟

لَمْ يكتف الجَيش الأَمْرِيْكِيّ بتحديد قيم للمؤسسة العَسكَرِيَّة ككل وللضباط بِشَكْلٍ خاص، بل اعتمد مجموعة من القيم أيضاً خاصة بالجندي، يلقنها لَهُ بِشَكْلٍ دوري، لتستقر في فؤاده وتصبح جزءاً من سلوكه:[1]

أنا جندي أمريكي.

أنا محارب وعضو في فريق.

أنا أخدم شعب الولايات المتحدة وأعيش بقيم الجَيش.

سأضع الأولوية للمهام دائماً وقبل كُلّ شيء.

لن أقبل الخسارة أبداً.

لن أستسلم أبداً.

لن أترك أبداً رفيقاً سقط.

أنا منضبط، قوي جسديًا وعقليًا، ومدرب ومتمرسٌ.

أنا دائم المحافظة على سلاحي ومعداتي ونفسي.

أنا خبير وأنا محترف.

إنني على استعداد لملاحقة أعداء الولايات المتحدة الأمريكيَّة والاشتباك معهم وتدميرهم في قتال متلاحم.

أنا وصي على الحرية وأسلوب الحياة الأَمْرِيْكِيّ.

أنا جندي أمريكي.

---

(1) https://www.army.mil/values/soldiers.html

في المحصلة كما سبق ووضحنا؛ فإن الجَيش الأَمْرِيْكِيّ شديد الحرص على تعيين قيم خاصة لِكُلِّ رتبة من القُوَات المُسَلَّحَة، حَتَّى أنه قد صاغ أيضاً قيماً خاصة لطلاب الكلية العَسكَرِيَّة لَمْ نسقها هُنَا تجنباً للإطالة.[1]

لذا ينبغي على الجَيش الثوري الناشئ أيضاً أن يحرص على تحديد قِيمه انطلاقاً من اعتباراته الدينية والتاريخية والوطنية الخاصة، وتكمن أهمية هَذِهِ القيم في كونها تحفز الجنود وتشعرهم بالمسؤولية، وسيكون تكرارها والتركيز عَلَيْهَا سبباً في تغيير سلوكهم مع الوقت، ويجعلهم أكثر انضباطاً واستقامةً وفاعليةً، فما تكرَّر تقرَّر.

(1) انظر الموقع الرَّسْمِيّ للجيش الأَمْرِيْكِيّ: (https://www.army.mil/values/cadet.html)

قوانينُ الحرب

هِيَ مجموعة من اللوائح والتعليمات الثابتة نسبياً، والتي تضبط ممارسات الجَيش تجاه العديد من القضايا الإنسانية والسلوكية، وتتضمن مجموعة من المحاور مثل: اليمين، قوانين التعامل مع المؤسسات الخدمية والبنى التحتية والمرافق الإنسانية وممتلكات الأفراد والأسرى والجرحى والقتلى والغنائم والصحافة والمنظمات الإغاثية، قواعد الاشتباك والتخريب واستخدام الأسلحة والنيران وما إلى ذَلِكَ، ومن المفترض أن هَذَا القانون يتماهى مع دستور البلاد، وإن مخالفته تستلزم المحاسبة القضائية.[1]

يمكن تحديد هَذِهِ القوانين من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. **مَا الصيغة المناسبة لليمين التي يقسم عَلَيْهَا المجند والضابط؟[2]**
2. **كَيْفَ نتعاطى مع الصحافة في ميدان المَعْرَكَة؟**
3. **كَيْفَ نعامل أسرى العدو وما يشمل ذَلِكَ من إطعام وطبابة وتقييد وتحقيق وسجن واتصال مع الأهل؟**
4. **كَيْفَ نتعامل مع قتلى العدو من حَيْثُ الدفن والتغسيل والصلاة والتسليم للأهل؟**
5. **هَلْ يمكننا المعاملة بالمثل؟ مَا حدود ذَلِكَ؟**
6. **كَيْفَ نعامل نساء العدو وأطفاله وشيوخه ورهبانه وغير المقاتلين بِشَكْلٍ عامٍ؟**

---

(1) كمثال عن ذَلِكَ، تشمل تعليمات الحرب في الجَيْش الأَمْرِيْكِيّ كلاً من: أخلاق الجَيْش، قواعد السلوك، قانون الحرب، يمين المنصب، قواعد الاشتباك وقواعد استخدام القوة، عقيدة الجندي، قيم المحارب... إلخ

انظر: (USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 3-12.)

(2) يمكن الاستفادة من صيغة القسم التي اعتمدتها الكلية العَسكَرِيَّة في حكومة الإنقاذ في إدلب خلال حفل تخريج الضباط سنة 2022: "أعاهد الله العظيم أن أبقى مستمراً في طريق الجهاد في سبيل الله، وأن أحافظ على ثورتي حَتَّى تحقق أهدافها، وأن أبذل الغالي والنفيس حَتَّى تعلو راية الإسلام ويتحرر كامل تراب الوطن، من رجس المحتلين والعملاء وأن أحافظ على المحرر، وأحميه بِكُلِّ مَا أستطيع؛ سلماً لمن سالمه، وحرباً لمن حاربه، وأن أحافظ على أسرار عملي وأمانة سلاحي، وطاعة قادتي، وأشهد الله والحاضرين، والله على مَا أقول شهيد"

7. كَيْفَ نعامل المنظمات الإنسانية في ساحة العَمَلِيَّات؟
8. مَا المواقع التي يمنع استهدافها (مستشفيات، أحياء سكنية، محطات مياه...إلخ)؟
9. مَا الأسلحة التي (يشرع / يمنع) استخدامها في الحرب؟

طبعاً هَذَا نموذج بسيط من الأسئلة التي تنبغي الإجابة عَلَيْهَا، وإلا فإن الجزء المتعلق بالقوانين يعدُّ من أطول مواضيع العقيدة العَسكَرِيَّة وأوسعها، وهَذَا مَا جعل وزارة الدفاع الأمريكيَّة تخصص لَهُ كتاباً كاملاً مؤلفاً من أكثر من ألف ومئتي صفحة،[1] يَتُمُّ تحديثه بِشَكْلٍ دوري، وَهُوَ ملزمٌ لجميع أقسام القُوَات المُسَلَّحَة الأمريكيَّة، هَذَا غير القوانين واللوائح الداخلية التي يصدرها كُلُّ قسمٍ بِشَكْلٍ مستقلٍ.

أما بالنسبة للنخب الثَّوْرِيَّة المسلمة فإن أول مصدر لِهَذِهِ القوانين هُوَ الدين الإسلامي، فقد تحدثت الشريعة الإسلامية بِشَكْلٍ مفصلٍ عن أحكام الأسرى والقتلى والشيوخ والنساء والأطفال وغير المقاتلين بِشَكْلٍ عامٍ، وبيَّنت أحكام تبييت العدو واستهداف مساكنه والتمثيل بِهِ وما إلى ذَلِكَ، وإن بُطون الكتب الفقهية مليئة بتفاصيل هَذِهِ المسائل، ثُمَّ لا بد أن يؤخذ بعين الاعتبار القواعد الدولية التي تعارفت عَلَيْهَا الجيوش اليوم، فلم يعد في الحرب الآن سبيٌ أو استعباد كما كان في التاريخ القديم. ولا ننسى أيضاً التجارب السابقة ودستور البلاد -إن وُجد- فهما مصدران أساسيان في صياغة هَذِهِ القوانين.

(1) انظر: Department of defense, Law of war manual, December 2016, Office of general counsel) .department of defense)

الرموزُ والمصطلحاتُ

المصطلحات والرموز هِيَ اللغة المستخدمة في كُلّ نشاط عسكري، إنها لغة المناهج والتدريبات العَسكَرِيَّة، ولغة الأسلحة والمعدات، ولغة الخرائط والأشكال البيانية. إنها اللغة التي تجعلُ القِيَادَةَ العَسكَرِيَّةَ قادرةً على التوجيه والتدريب والتقييم والتنظيم، وَهِيَ اللغة التي تمكن أفراد القُوَات العَسكَرِيَّة من التواصل والتفاهم فيما بينهم، إنها في جسد الجَيش كالسيالة العصبية في جسد الإنسان.[1]

أول شق من هَذَا الجزء، هُوَ تعريف المصطلحات العَسكَرِيَّة المستخدمة في المناهج والأدلة العَسكَرِيَّة، إذا لا بد من اعتماد تعريف موحد لَهَا لتحقيق الفهم المتبادل. يتضمن الجدول التالي مثالاً عن هَذِهِ المصطلحاتِ التي ينبغي تعريفها واعتمادها في معجم الجَيش:

العقيدة العَسكَرِيَّة	الدفاع في العمق	الخط الأمامي	التأمين	القوة الضاربة
مبادئ الحرب	الدفاع المتحرك	خط الانتشار	الهجوم	الهجوم المضاد
قيم الحرب	التراجع	خط تسليم المَعْرَكَة	الإدامة	المناورة
يمين المنصب	الانزواء	الموقع البديل	الاستخبارات	فك الاشتباك
الإسْتِرَاتِيجِيَّة	النسق	الموقع الملحق	الاستطلاع	خط الإمداد
العَمَلِيَّات	التثبيت	الموقع المكمل	التمويه	العوائق
التكتيك	العزل	منطقة العَمَلِيَّات	الهندسة	مسلك الاقتراب

(1) USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 2-7.

وهُنَاكَ مئاتُ المصطلحاتِ الأخرى التي ستظهر مع الوقت خلال عَمَلِيَّة إعداد المناهج والدراسات العَسكَرِيَّة، وينبغي تعريفها واعتمادها وإلحاقها بالمعجم الرَّسْمِيّ للجيش، إذا فعملية تحديث المعجم وإرفاده بمصطلحات جديدة ستبقى مستمرة مَا دامت القُوَات العَسكَرِيَّة ترتقي وتتطور، وَهِيَ عَمَلِيَّة تراكمية وتحتاج سنوات من الخبرة والممارسة.

الشق الثاني؛ يتحدث عن الاختصارات المعتمدة في الجَيش، فعادةً مَا تختصر الجيوش الكلمات الطويلة المتكررة، وقد يشمل ذَلِكَ أسماء المعدات أو العَمَلِيَّات أو الدول وما إلى ذَلِكَ. على سبيل المثال يمكن اختصار مصطلح (الحد الأمامي) بـ (ح/أ)، ومصطلح (موقع بديل) بـ (م/ب)، وهكذا، وتوضيح هَذِهِ المختصرات ضروري في العقيدة العَسكَرِيَّة حَتَّى يسهل على الأفراد فهمها في المنهاج العَسكَرِيَّة واللوائح والخرائط.

يتعلقُ الشقُ الثالثُ بالرموزِ والأشكالِ، وَهِيَ ضروريةٌ لتوضيح:

1. عدد القُوَات: بداية من المجموعة فالفصيلة فالسرية وصولاً للكتيبة واللواء والفرقة.
2. خطوط المَعْرَكَة: الخط الانتشار الأمامي، وخط الاشتباك، وخط تسليم المَعْرَكَة... إلخ وكُلّ منها لَهُ وظائف مختلفة.
3. مناطق العَمَلِيَّات: كمنطقة التأمين، ومنطقة الاشتباك ومنطقة الاحتياط وغير ذَلِكَ.
4. الأسلحة: بمختلف أنواعها فَكُلّ منها يَجِبُ أن تكون لَهُ إشارة خاصة توضحه على الخريطة.
5. الحركة: قد ترمز إلى تقدم القُوَات أو تراجعهم أو التفافهم.
6. التضاريس: السهلية أو الجبلية أو الأنهار والآبار وغير ذَلِكَ.

هَذَا على سبيل المثال، وإلا فَهُنَاكَ الكثير من الأنشطة والعَمَلِيَّات والمعدات التي تحتاج رموزاً معتمدة في الجَيش، وما يهمنا في البَحْث أن نعلم أن تحديد المصطلحات والرموز مسألة أَسَاسِيَّة في الحرب وَهِيَ تعتمد على الإجابة عن الأسئلة التالية:

- **مَا أَهَمّ المصطلحات العَسكَرِيَّة التي نستخدمها؟ وما المفهوم المعتمد لِكُلِّ مصطلح؟**
- **مَا أَهَمّ الاختصارات التي نستخدمها؟ وما المفهوم المعتمد لِكُلِّ مختصر؟**
- **مَا أَهَمّ الرموز العَسكَرِيَّة التي نستخدمها؟ وما المفهوم المعتمد لِكُلِّ رمز؟**

مُلَخَّصُ المَبْحَثِ

إن إنهاء العنصر الأول من العقيدة العَسكَرِيَّة (الأساسيات) يتطلب تحديد الجَيش لمفهومه الخاص لفلسفة الحرب ومبادئها وقيمها وقوانينها، إضافة إلى اعتماد الرموز والمصطلحات والأشكال العَسكَرِيَّة وتعريفها، وذَلِكَ من خلال تأمل المنطلقات التي سبق ذكرها والإجابة عن الأسئلة التالية:

المنطلقات	الأساسيات	الأسئلة
في البيئة الخارجية: 1. الأعداء والتهديدات 2. الجغرافيا 3. الديمغرافيا 4. التقدم التكنولوجي 5. الاعتبارات المدنية	فلسفة الحرب	مَا تعريفنا للحرب؟ لِمَاذَا ينبغي علينا خوضها؟ مَا الأعباء الأَسَاسِيَّة والمهام الملقاة على عاتق الجَيش؟
	مبادئ الحرب	مَا أَهَمّ المبادئ العَسكَرِيَّة العامة التي ينبغي أن تؤطر عملياتنا العَسكَرِيَّة في كُلّ الأحوال وفي مختلف الظروف؟
	قيم الحرب	مَا أَهَمّ القيم الجماعية التي ينبغي أن يؤمن بِهَا جيشنا ويستقيم عَلَيْهَا؟ مَا أَهَمّ القيم التي ينبغي للقائد في جيشنا أن يلتزم بِهَا؟ مَا أَهَمّ القيم التي يَجِبُ على الجندي العمل بِهَا؟
منطلقات داخلية: 1. التجارب والخبرة 2. المعتقدات الدينية 3. النظريات 4. السِّيَاسَة الوطنية 5. القُوَات الصديقة والحليفة	قوانين الحرب	مَا الصيغة المناسبة لليمين التي يقسم عَلَيْهَا المجند والضابط؟ كَيْفَ نتعاطى مع الصحافة في ميدان المَعْرَكَة؟ كَيْفَ نعامل أسرى العدو وما يشمل ذَلِكَ من إطعام وطبابة وتقييد وتحقيق وسجن واتصال مع الأهل؟ كَيْفَ نتعامل مع قتلى العدو من حَيْثُ الدفن والتغسيل والصلاة والتسليم للأهل؟ هَلْ يمكننا المعاملة بالمثل؟ مَا حدود ذَلِكَ؟ كَيْفَ نعامل نساء العدو وأطفاله وشيوخه ورهبانه وغير المقاتلين بِشَكْلٍ عامٍ؟ كَيْفَ نعامل المنظمات الإنسانية في ساحة العَمَلِيَّات؟

		مَا المواقع التي يمنع استهدافها (مستشفيات، أحياء سكنية، محطات مياه...إلخ)؟ مَا الأسلحة التي يشرع / يمنع استخدامها في الحرب؟
	الرموز والمصطلحات	مَا أَهَمّ المصطلحات العَسكَرِيَّة التي نستخدمها؟ وما المفهوم المعتمد لِكُلِّ مصطلح؟ مَا أَهَمّ الاختصارات التي نستخدمها؟ وما المفهوم المعتمد لِكُلِّ مختصر؟ مَا أَهَمّ الرموز العَسكَرِيَّة التي نستخدمها؟ وما المفهوم المعتمد لِكُلِّ رمز؟

المَبْحَث الثاني: الفروعُ الرئيسيَّةُ

بمجرد صياغة أساسيات العقيدة، سيكون لَهَا تأثير مستمر على مستويات الحرب الثلاثة: الإِسْتِرَاتِيجِيّ والعملياتي والتكتيكي،[1] كما أن أثارها ستنعكس أيضاً على الخطط والأهداف العَسكَرِيَّة في مختلف هَذِهِ المستويات وكيفية تحقيقها. ولكن قبل ذَلِكَ كله، أول خطوة ينبغي العمل عَلَيْهَا في العقيدة العَسكَرِيَّة مَا بعد الأساسيات؛ هِيَ تحديد نوع الحرب التي تخوضها أو يمكن أن تخوضها قواتنا المُسَلَّحَة، لأن طبيعة الحرب هِيَ التي ستفرض علينا نمطاً معيناً من الأساليب الحربية.

يمكننا القول إن العنصر الثاني من العقيدة العَسكَرِيَّة (الفروع الرئيسية) يتضمن بدايةً تحديد طبيعة الحرب، ثُمَّ اختيار الإِسْتِرَاتِيجِيَّات والعَمَلِيَّات والتكتيكات المناسبة لَهَا، وهَذَا هُوَ التسلسل المنطقي الَّذِي ينبغي السير عَلَيْهِ.

الشكل (17): العنصر الثاني في العقيدة العَسكَرِيَّة - الفروع الرئيسية

(1) MG (ret) Kees Homan, Doctrine.

نوعُ الحرب

يتجه معظم الخبراء العسكريين إلى تقسيم الحروب لعدة أنواع، إذ يتفق جميعهم أن الحرب تتغير أنماطها وتتنوع مع تطور البشرية وتقدم تقنياتها. لكنك إذا أردت الوصول إلى تصنيف واضح لِهَذِهِ الأنواع التي يسوقها الخبراء في مؤلفاتهم؛ قد تتوه في بحر من الأسماء والعناوين التي لا حدَّ لَهَا ولا ضابط، فَهُنَاكَ حرب برية وأخرى جوية وأخرى فضائية بحرية، وهُنَاكَ حرب عالمية وحرب باردة وحرب مكافحة إرهاب، إضافة إلى حرب مكافحة التمرد والحرب السيبرانية والحرب النووية... إلى آخر ذَلِكَ من الأنواع التي لا نهاية لَهَا.[1]

والحقيقة، إنني أعتقد أن سبب هَذَا التشتت الكبير في تعيين أنواع محددة للحروب، يعود بالأساس إلى عدم تحديد منطلقٍ ومعيار واضح للتقسيم. وعلى الرغم أن مسألة تصنيف أنواع الحروب ليست موضوع بحثنا هَذَا، لكنني أجد نفسي مجبراً على ضرب بعض الأمثلة ليتضح لنا هَذَا الجزء المهم من العقيدة العَسكَرِيَّة.

يمكننا -مثلاً- تقسيمُ الحروبِ من حَيْثُ الأهداف النهائية التي يحملها كُلُّ طرفٍ إلى:

- حربُ الإبادةِ: وَهِيَ التي يسعى فيها أحد الأطراف إلى التغيير الديمغرافي أو الإبادة الجماعية، مثل الحروب الإنجليزية الهندية في القارة الأمريكيَّة أواخر القرن الثامن عشر.
- حربُ الاستقلالِ: وفيها يكون أحد الأطراف محتلاً والآخر متمرداً يسعى إلى الحصول على استقلاله، مثل الحرب الجزائرية الفرنسية (1954-1962م).
- الحرب الثَّوْرِيَّةُ: وَهِيَ التي يسعى أحد الأطراف فيها إلى إسقاط النظام الحالي وإقامة نظام جديد مختلف كلياً عن القديم، ومن هُنَا استمدت هَذِهِ الحرب صفة الثَّوْرِيَّة، لأن

(1) للاطلاع أكثر على مختلف أنواع الحروب؛ انظر: الدكتور فتحي أمين، موسوعة أنواع الحروب، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 2006.

هدفها ليس تغيير الحكام فحسب؛ وإنما إبدال قيم الدولة والطبقة الحاكمة بأسرها، مثل الثَّورَة الماوية في الصين (1927- 1950م).

- حربُ مكافحةِ التمردِ: وَهِيَ التي تخوضها السلطات القائمة في الدولة ضد مجموعات من المتمردين الَّذِينَ يريدون السيطرة على الحكم بطرق غير مشروعة، وكمثال عَنْهَا حرب مكافحة التمرد الأمريكيَّة في أفغانستان ضد الطالبان بين 2001 و2020م.

الجدير بالذكر، إن الحرب نفسها هُنَا قد يختلف نوعها لدى كُلّ طرف من أطرافها، فالحرب الإيطالية الليبية (1911 -1931م) مثلاً: من جهة إيطاليا هِيَ حرب مكافحة تمرد وإبادة في نفس الوقت، أما من جهة الثوار الليبيين فإنها حربٌ ثورية.

أما من حَيْثُ طبيعة الأطراف المشاركة فيها، فيمكننا تقسيم الحرب إلى:

- الحرب النظاميةُ: عِنْدَمَا تكون بين جَيش نظامي لدولة معينة ضد جَيش نظامي لدولة أخرى، مثل الحروب العالمية الأولى والثانية، والحرب العراقية الإيرانية (1980-1988م).
- حربُ العصاباتِ: تنشب بين جَيش نظامي ومجموعات تمثل أغلبية شعبية ذات هدف سياسي، مثل حرب الريف في المغرب (1921-1926م) والحرب الفيتنامية (1955-1975م).
- حربٌ مركبةٌ: تحصل بين جَيش نظامي ومجموعات شعبية ذات هدف سياسي خاضعة بالكامل لدولة نظامية أخرى، أو فلنقل تعتبر هَذِهِ المجموعات قُوَات مُسَلَّحَة غير نظامية لا تمثل امتداداً للشعب وإنما لدولة معينة، وهَذِهِ التي يعبر عَنْهَا بعض الخبراء بِالحرب الهجينة، مثل حرب إسرائيل وحزب الله (2006م) الَّذِي يعتبر ذراعَ إيران في المنطقة.

من جهة أخرى، يمكننا تقسيم الحروب من حَيْثُ طبيعة الأسلحة المستخدمة فيها إلى:

- حرب نووية: بالأسلحة النووية.
- حرب بيولوجية: بالمواد الباكتيرية السامة.
- حرب كميائية: بالغازات السامة.
- حرب إلكترونية: الاختراق عبر شبكات الأنترنت.

ثُمَّ إن الحروب قد تُقسم أيضاً انطلاقاً من مجال الحركة الَّذِي تستخدمه القُوَات المُسَلَّحَة، فَهُنَاكَ الحرب البرية (وهَذِهِ كذلك أنواع: حرب الجبال، حرب الصحراء، حرب المستنقعات، حرب المدن...إلخ)، وهُنَاكَ الحرب البحرية، والحرب الجوية، والحرب الرقمية، وغير ذَلِكَ.

وفي المحصلة؛ إن تقسيم الحروب بطريقة علمية وتحديد أنواعها المختلفة، يحتاج بحثاً مستقلاً لعلنا ننشط لَهُ في المستقبل إن شاء الله، وكُلّ مَا يهمنا في هَذَا الصدد هُوَ أن على الجَيش أن يحدد نوع الحرب التي يخوضها وأن يضع لَهَا تعريفاً جامعاً مانعاً معتمداً، لكي يستطيع بعد ذَلِكَ اختيار الإِسْتِرَاتِيجِيَّات المناسبة لَهَا، وذَلِكَ من خلال الإجابة على السؤال التالي: مَا نوع الحرب التي نخوضها وما طبيعتها؟

لِهَذَا السبب تجد العقيدة العَسكَرِيَّة الأمريكيَّة تُعرِّف بِشَكْلٍ واضحٍ الحرب في العراق وأفغانستان على أنها حرب مكافحة تمرد، وتضع مفهوماً دقيقاً لِهَذَا النوع من الحروب، لتنطلق منه في اختيار الأساليب العَسكَرِيَّة المناسبة، ولعل أَهَمّ وثيقة في هَذَا الصدد هِيَ دليل الميدان (3-24) بإشراف جيمس أموس وديفيد باتريوس التي جاء في مقدمتها:

> "صُمِّمَ هَذَا الدليل ليملأ ثغرة في العقيدة العَسكَرِيَّة. فقد مرَّ عشرون عاماً منذ نشر الجَيش دليلاً ميدانياً خُصص حصراً لعمليات مكافحة التمرد. بينما مر خمسة وعشرون عاماً بالنسبة لقوات مشاة البحرية. ومع محاربة جنودنا وعناصر مشاة البحرية في أفغانستان والعراق للمتمردين، فقد وجدنا من الضروري أن نقدم لهم دليلاً يوفر المبادئ والإرشادات الخاصة بعمليات مكافحة التمرد، بِحَيْثُ يكون مُسْتَنِدَاً على الدراسات التاريخية من ناحية، وعلى الخبرات المعاصرة من ناحية أخرى".[1]

(1)دليل الميدان للجيش الأَمْرِيْكِيّ (24 - 3)، مكافحة التمرد، ديفيد باتريوس وجيمس أموس، ص 10.

وينطبق نفس الأمر على القوى العَسكَرِيَّة الثَّوْرِيَّة، إذ لا بد أن تحدد طبيعة الحرب التي تخوضها بِشَكْلٍ واضحٍ فإنها إن كانت حرباً ثورية فسيكون لَهَا إستراتيجياتها وتكتيكاتها الخاصة، أما إن كانت حرباً نظامية فإن هَذِهِ الإِسْتِرَاتِيجِيَّات والتكتيكات ستختلف بِشَكْلٍ جذري، وأكبر خطأ قد يقع فيه الثوار هُوَ الخلط بين المفهومين وتطبيق أساليب نظامية في موطن ينبغي أن تطبق فيه الأساليب غير النظامية، وهُنَا تقع الهزيمة.

من الاعتبارات التي قد تؤثر أكثر من غيرها في اختيار النوع المناسب للحرب: طبيعة العدو، القُوَات الصديقة، الحلفاء. فإن كان العدو يفوقنا بِشَكْلٍ كبيرٍ على مستوى القوة العددية والمادية فإنه يستحيل مواجهته بأساليب الحرب التَّقْلِيدِيَّة لأن ذَلِكَ سيعني سحقنا، بل ينبغي اختيار نمط غير نظامي مثل حرب العصابات والحرب الثَّوْرِيَّة مثلاً، أما إن حظيت المجموعات الثَّوْرِيَّة بحليف قوي يتعهد بدعمها بالأسلحة التَّقْلِيدِيَّة وإدامتها فيمكن أن تفكر وقتها في خوض حرب نظامية.

الإِسْتِرَاتِيجِيَّاتُ العَسكَرِيَّةُ [1]

تماماً كأخواتها من المصطلحات العَسكَرِيَّة؛ كثر الخلاف والجدل حول مفهوم الإِسْتِرَاتِيجِيَّة ومضمونها، وَنَحْنُ هُنَا لسنا بصدد العودة إلى تاريخ هَذَا المصطلح ونشأته وأقوال الخبراء فيه، فما هَذَا موضوع بحثنا، لكنني في هَذَا الموضع؛ يمكن أن ننبه إلى عدة أمور:

أولاً: الإِسْتِرَاتِيجِيَّة أعمُّ من التكتيك، إنها تتناول القضايا الكبرى والأهداف بعيدة الأمد، أما التكتيك فإنه الجزئيات التي تتحقق بِهَا هَذِهِ الأهداف الكبرى. وفي المجال العَسكَرِيّ، تشمل الإِسْتِرَاتِيجِيَّة الطريقة التي تُستخدم بِهَا موارد الدولة والأمة وقدراتها المُسَلَّحَة لتحقيق الهدف السِّيَاسِيّ من الحرب.

ثانياً: من هَذَا المنطلق، يمكن أن يكون للدولة إستراتيجية كبرى أو كلية تحددها قيادة البلاد، وتنبثق عن هَذِهِ الإِسْتِرَاتِيجِيَّة الكبرى إستراتيجيات متنوعة: سياسية وأمنية وعسكرية واجتماعية واقتصادية وإعلامية... إلخ، ولكن هَذِهِ الإِسْتِرَاتِيجِيَّة الكلية هِيَ التي تقود الصراع سواءً كان عنيفاً أم غير عنيف، سواءً أدار في ميادين السِّيَاسَة، أم الاقتصاد، أم الدبلوماسية، أم شملها كلها في وقت واحد؛ لأن المسألة في الواقع كلية، بعكس الإِسْتِرَاتِيجِيَّة العَسكَرِيَّة التي لا تنفك عن السلاح والعنف.[2]

---

(1) هناك خلاف كبير بين المختصين حول صحة إدخال الاستراتيجيات ضمن العقيدة العسكرية، إذ يتجه معظمهم إلى جعلها صنفاً مستقلاً بذاته له خصائصه المباينة للعقيدة العسكرية، لكنني اخترت وضعها هنا، لأنه لا يمكن الحديث عن طبيعة الحرب ثم القفز إلى التكتيكات دون ذكر الاستراتيجيات التي تعدُّ أصلاً مؤثراً في اختيار التكتيكات فيما بعد. ولهذا السبب جعلت اعتماد الاستراتيجية خطوةً رئيسية في صياغ العقيدة، لكنني هنا أقصد الاستراتيجية بمعناها العام الشامل، وليس المفصل، كما سيأتي ذكره في الأمثلة.

(2) انظر: منير شفيق، الإِسْتِرَاتِيجِيَّة والتكتيك في فن علم الحرب، من السيف والدروع إلى الصاروخ والأنفاق، مع ملحق بين حروب نابليون والفتوحات العربية الإسلامية الأولى، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، لبنان، 1429 هـ / 2008م، ص 58.

ثالثاً: في كُلِّ نوع من أنواع الحروب هُنَاكَ إستراتيجيات عسكرية متعددة، يَتُمُّ اختيار الأصلح منها حسب الظروف المتغيرة في تِلْكَ الحرب. ففي الحروب الثَّوْرِيَّة مثلاً؛ -على عكس الكتابات التي تخلط بين الحرب الثَّوْرِيَّة وحرب العصابات- استخدم الثوار تاريخياً أربع إستراتيجيات رئيسية:

1. **حرب العصابات: استخدام الثوار للعمليات النوعية ذات الطابع الأمني لاستنزاف العدو مع الوقت وكسب السكان. (طالبان)**
2. **النمط التَّقْلِيدِيّ: استخدام الثوار لأسلوب الجيوش النظامية من السيطرة على الأرض والهجوم الشامل بالأسلحة والمعدات الثقيلة. (نمور التاميل)[1]**
3. **النمط الهجين: يستخدم الثوار مزيجاً من خصائص النمط التَّقْلِيدِيّ وحرب العصابات. (حزب الله)**
4. **التنكيل: استهداف غير المقاتلين عمداً بهدف إخضاع السكان، واستعمال التخريب والتمثيل والتعذيب لبث الذعر في الشعب. (تَنْظِيْم الدولة)**

تختار القِيَادَة الثَّوْرِيَّة من بين هَذِهِ الإِسْتِرَاتِيجِيَّات مَا يحقق لَهَا النصر (مَا عدى التنكيل لأنها أثبتت فشلها في التجارب السابقة)، "وقد يحتاجون إلى تغيير إستراتيجياتهم حسب المنطقة (اعتماداً على مقدار السيطرة على الأراضي) أو مراحل الثَّورَة (اعتماداً على توازن القوى مع الحُكُوْمَة) أو إستراتيجية الحُكُوْمَة أو عوامل أخرى. ولكن من دون إستراتيجيةٍ مناسبة، فإنَّ الثوار ليس لديهم فرصةٌ كبيرةٌ لتحقيق أهدافهم".[2]

---

(1) حركة سريلانكية الانفصالية، كانت تدعى في السابق نمور تحرير التاميل - إيلام، وتقاتل الحركة منذ العام 1983 ضِدّ حكومة العاصمة كولومبو بهدف الاستقلال الذاتي في إيلام التاميلية وَهِيَ المناطق التي تقطنها عرقية التاميل شمالي وشرقي الجزيرة.

(2) سيث جونز، نشوب الثَّورَة المُسَلَّحَة، دروسٌ من الفيت كونغ وصولاً إلى تَنْظِيْم الدولة الإسلامية، ترجمة مركز الخطابي للدراسات 2020، ص 112.

أما في الحروب التَّقْلِيدِيَّة، فَهُنَاكَ أيضاً إستراتيجيات متنوعة؛ مثل إستراتيجية "تركيز القوة والهجوم الخاطف لسحق قُوَات العدو الرئيسية"، كما نظَّر لَهَا جوميني وكلاوزفيتز، واستخدمها الألمان في الحرب العالمية الثانية، وهُنَاكَ إستراتيجية "الردع النووي" التي اعتمدتها أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية في مواجهة الاتحاد السوفيتي، وهُنَاكَ غيرها الكثير.[1]

في المحصلة إن السؤال الَّذِي يطرحُ نفسه بعد اختيار النوع المناسب للحرب، وتنبغي الإجابة عَلَيْهِ في العقيدة العَسكَرِيَّة: مَا الإِسْتِرَاتِيجِيَّة العَسكَرِيَّة الملائمة التي تحقق لنا النصر في هَذَا النوع من الحروب؟

(1) لمزيد من الاطلاع على أنماط الإِسْتِرَاتِيجِيَّة انظر: منير شفيق، الإِسْتِرَاتِيجِيَّة والتكتيك في فن علم الحرب، ص 61.

العَمَلِيَّاتُ العَسكَرِيَّةُ

لَمْ يعترف الغربيون بوجود مستوى العَمَلِيَّات إلا في مراحل تاريخية متأخرة، فكانوا يدمجون بعضه بالإستراتيجية والبعض الآخر بالتكتيك، أما بالنسبة للسوفييت فقد قسموا منذ زمن بعيد فروعَ علم الحرب إلى (1) الإِسْتِرَاتِيجِيَّة (2) فن العَمَلِيَّات (3)التكتيك، وعرفه الجنرال ستروكوف: "إن أساليب وأشكال إعداد العَمَلِيَّات وخوضها من أجل تحقيق الأهداف الإِسْتِرَاتِيجِيَّة للحرب تشكل موضوع فن العَمَلِيَّات. ومن أَهَمّ واجبات هَذَا الفن مَا يلي: تحديد فكرة العملية، تخطيط استخدام القوى والوسائط، انتقاء الأساليب والأشكال المرتبطة باستخدام وقيادة التشكيلات الكبرى (الجيوش والجبهات)، تَنْظِيْم التعاون العملاني للقوى والوسائط المختلفة المشتركة في العملية".[1]

من جهة أخرى، يُعَرِّفُ الأمريكيون مستوى العَمَلِيَّات في عقيدتهم العَسكَرِيَّة المحدثة سنة 2019 بأنها: "تصميم الحملات والعَمَلِيَّات الرئيسية، وتحديد أَيْنَ ومَتَى ولأي غرض سنستخدم القُوَات العَسكَرِيَّة".[2] وما يهمنا في هَذَا الصدد أن العَمَلِيَّات ينبغي أن تصمم على ضوء الإِسْتِرَاتِيجِيَّة وطبيعة الحرب التي اعتُمدت في الخطوات المسبقة، وتكمل صياغتها بالإجابة عن الأسئلة التالية:

- كَيْفَ نحدد منطقة العَمَلِيَّات الرئيسية التي تمكننا من تحقيق أهدافنا الإِسْتِرَاتِيجِيَّة؟ وَهَلْ ينبغي تقسيم هَذِهِ المنطقة إلى مناطق العَمَلِيَّات الفرعية (منطقة تأمين، منطقة اشتباك...إلخ)؟
- مَا خطوط المَعْرَكَة التي يمكن أن نستخدمها لإرشاد القُوَات في منطقة العَمَلِيَّات؟ وما وظيفة كُلّ واحد منها (انتشار أمامي، اشتباك، تسليم المَعْرَكَة...إلخ)؟

(1) انظر: منير شفيق، الإِسْتِرَاتِيجِيَّة والتكتيك في فن علم الحرب، ص 30.

(2) USA Army, ADP 1-01, DOCTRINE PRIMER, JULY 2019, 2-7.

- **كَيْفَ ينبغي توزيع القُوَات ونشرها في جبهة العَمَلِيَّات؟**
- **ما قواعد التنسيق بين أقسام القوات المختلفة (البرية والجوية والبحرية)؟**
- **كَيْفَ تُوزع وتُنظم مراكز القِيَادَة في جبهة العَمَلِيَّات؟**
- **كَيْفَ نستخدم مواقع المَعْرَكَة في منطقة العَمَلِيَّات؟ وما وظيفة كُلّ موقع منها (أساسي، بديل، إسناد...إلخ)؟**
- **كَيْفَ ينبغي نشر القُوَات وتوزيعها بحسب طبيعة منطقة العَمَلِيَّات؟**
- **كَيْفَ يمكن للقوات المُسَلَّحَة أن تعمل بِشَكْلٍ مشتركٍ رغم اختلال تخصصاتها لتحقيق الهدف العام للحرب؟**[1]

(1) يمكن الاستفادة من الدليل الأَمْرِيْكِيّ حول العَمَلِيَّات (FM 3-0):

Field Manual, No. 3-0, Headquarters, Department of the Army, Washington, D.C, 01 October 2022.

التكتيكاتُ العَسكَرِيَّةُ

مقارنة بالمصطلحات التي سبق ذكرها، يمكننا القول إن "التكتيك" هُوَ الأكثر وضوحاً من بينها، حَتَّى أنك لا تجد خلافاً جوهرياً في تعريفه بين المفكرين، إذ يتجه معظمهم إلى وصفه بعملية الاشتباك مع العدو.[1]

> إن التكتيك هُوَ قتال العدو والاشتباك معه في ميدان الحرب لتحقيق الأهداف الإِسْتِرَاتِيجِيَّة والعملياتية، فإن كان الحديث عن استخدام قدرات البلاد كلها في خوض الحرب، فإنك هُنَا تتكلم عن الإِسْتِرَاتِيجِيَّة، أما إن كان حول طريقة استخدام القُوَات العَسكَرِيَّة في جبهة محددة، فإنك هُنَا تتحدث عن العَمَلِيَّات، لكنك إن ذكرت طريقة الاشتباك مع العدو في محور معين -دفاعاً أو هجوماً- فهَذَا هُوَ التكتيك.

لابد أن تحوي العقيدة العَسكَرِيَّة جوانب تكتيكية، توضح فيها للقيادة العَسكَرِيَّة طريقة القتال في مختلف الظروف، ولو عدنا للمناهج الأمريكيَّة سنجد أنهم يقسمون التكتيكات إلى:

1. تكتيكاتُ الهجومِ:

المفهوم: تَهدُفُ هَذِهِ التكتيكيات إلى هزيمة العدو أو القضاء عَلَيْهِ. ويمكن للقائد أيضاً أن ينفذها لحرمان العدو من الموارد، أو الاستيلاء على أرض حاكمة، أو لخداع العدو وإلهائه، أو للحصول على الاستخبارات (الاستطلاع بالقوة)، أو لتثبيت العدو في مكانه وتعطيل برامجه الهجومية.[2] وتنقسم التكتيكات الهجومية في العقيدة الأمريكيَّة إلى أربعة أنواع:

(1) Field Manual, No. 3-90, (FM 3-90) TACTICS, Headquarters, Department of the Army, Washington, DC, 4 July 2001, 3-0.

(2) المصدر نفسه 3-1.

أ- التقدم للتماس مع العدو: يهدف لتطوير الموقف وإنشاء أو استعادة التماس. يقوم القائد بِهَذَا النوع من التكتيك عِنْدَمَا يكون الموقف غير واضح أو عِنْدَمَا يقطع العدو تماسه مع القُوَات الصديقة. (1)

ب- المهاجمة، وَهِيَ أنواع:

- الهجوم الإحباطي: هُوَ شكلٌ من أشكال الهجوم الَّذِي يستبق العدو أثناء تدبيره واستعداده للهجوم، فيحبط نيته الهجومية ويَحُوْلُ بينه وبين مراده. الهدف من هَذَا الهجوم؛ تعطيلُ قدرات العدو الهُجومِيَّة وإفساد خططه.(2)
- الكمين: هُوَ هجوم بالنيران أو بوسائل تدميرية أخرى انطلاقاً من مواقعَ مخفيةٍ على عدو متحركٍ. يهدف إلى تدمير العدو وليس السيطرة على الأرض، وَهُوَ نوعان: كمين النقطة (تنتشر الوحدة للهجوم على منطقة قتل واحدة) وكمين المنطقة (تنتشر الوحدة في اثنين أو أكثر من كمائن النقاط المرتبطة ببعضها). (3)
- الإغارة: تتضمنُ دخولاً سريعاً ومؤقتاً إلى منطقةٍ معاديةٍ لتأمين المعلومات أو إرباك العدو أو تدمير المنشآت. وتنتهي بانسحابٍ مخططٍ لَهُ من منطقة الهدف عِنْدَ اكتمال المهمة. (4)
- الهجوم المضاد: يَتُمُّ إجراؤه عَادَةً من مواقع دفاعية لاستعادة زمام المبادرة وهزيمة أو تدمير قُوَات العدو المهاجم، أو استغلال ضعف العدو -مثل مجنبة مكشوفة- أو لاستعادةِ السيطرةِ على الأراضي والمنشآت بعد نجاح العدو بالاستيلاء عَلَيْهَا.(5)

---

(1) Field Manual, No. 3-90, (FM 3-90) TACTICS, Headquarters, Department of the Army, Washington, DC, 4 July 2001, 4-0.

(2) المصدر نفسه .5-166

(3) المصدر نفسه.5-123

(4) المصدر نفسه.5-162

(5) المصدر نفسه.5-145

- **التظاهر بالهجوم: يهدُفُ إلى خداع العدو حول موقع أو وقت العملية الحاسمة من خلال استعراض القُوَات دون تماسٍ مع العدو.** (1)
- **الهجوم التضليلي: التماس النَّارِي المباشر مع العدو، ولكن مع تجنب الاشتباك الحاسم، يهدف لخداع العدو حول موقع أو وقت العملية الفعلية الحاسمة.**

ج- **استثمار الهجوم: وَهُوَ يتلو مباشرةً هجوماً ناجحاً، الهدف منه زعزعة العدو في العمق، استكمال تفكيكه في ظل انهياره.** (2)

د- **المطاردة: تَهدُفُ للحاق أو قطع الطريق أمام قوة معادية -تُحَاوِلُ الفرار من أرض المَعْرَكَة، والهدف منها القضاء على فلول العدو المتبقية.**

الشكل (18): تكتيكاتُ الهجومِ في العقيدة الأمريكيَّة

(1) المصدر نفسه. 160-5

(2) المصدر نفسه. 9-3

2. تكتيكاتُ الدفاعِ:

المفهوم: تتصدى التكتيكات الدِّفَاعِيَّة لهجوم العدو، وتُكسِبُ المدافعين الوقت، وتستنزف العدو، وتحافظ على المواقع الحاسمة والحيوية، أو يمكن أن تثبت العدو تمهيداً للهجوم. لكن ليس للدفاع وحده حسم الحرب، بل الغاية منه إيجاد الظروف المواتية للهجوم المعاكس الَّذِي سيسمح للقوات المدافعة بانتزاع زمام المبادرة. (1)

وتوزِعُ العقيدة الأمريكيَّة التكتيكاتِ الدفاعيةَ إلى ثلاثةِ أنواعٍ:

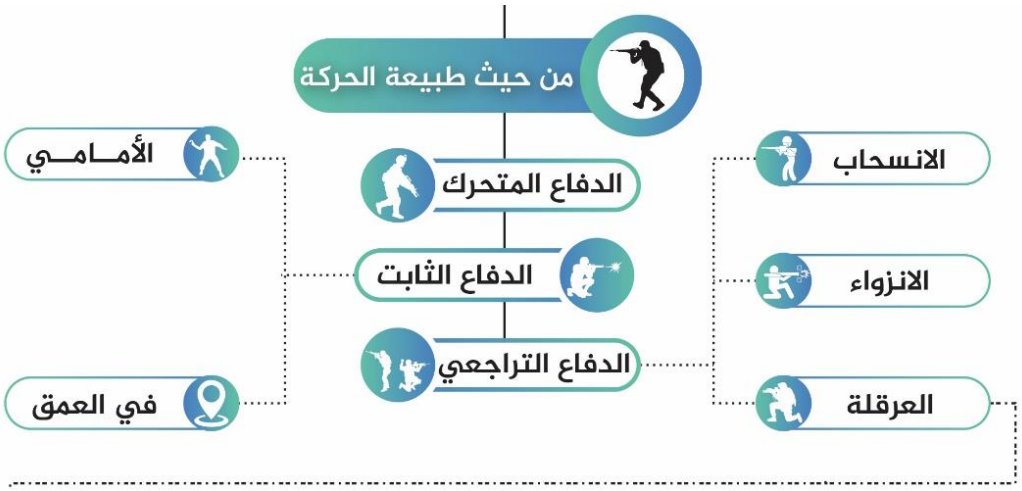

الشكل (19): تكتيكاتُ الدفاعِ في العقيدة الأمريكيَّة

(1) العَمَلِيَّات الدفاعية، القسم الثالث من منهاج التكتيكات الأَمْرِيْكِيّ (FM3-90)، ترجمة ونشر مركز الخطابي، 2021، ص 16.

أ- الدفاعُ الثابتُ:

يُركِّز على منع قُوَات العدو من الوصول إلى مناطق محددة لمدة معيّنة، أكثر من التركيز على تدميره، ويسعى إلى الاحتفاظ بمنطقة يكونُ فيها الجزءُ الأكبرُ من القُوَات المُدافِعَة موزّعاً في مواقع معدَّة مسبقاً وتتمتع بالإسناد المتبادل، بِحَيْثُ تحتفظ الوحدات بمواقعها وتسيطر على المنطقة الواقعة بين هَذِهِ المواقع. والدفاع الثابت نوعان:[1]

الأمامي: ترتكز معظم القُوَات في مناطق الاشتباك على طول الحدِّ الأمامي لمنطقة المَعْرَكَة بهدف منع العدو من اختراق المنطقة الدِّفَاعِيَّة. ففي الدفاع الأمامي، ستقوم الوحدات بالقتال للمحافظة على هَذِهِ المواقع على طول الحدِّ، وستشنُّ هجوماً مضاداً عنيفاً ضد أي اختراقات تحدث. ويستخدمُ القائدُ الدفاعَ الأمامي عِنْدَمَا يوجِّهُهُ القائدُ الأعلى للاحتفاظ بأرضٍ أماميَّةٍ لأسبابٍ سياسيةٍ أو عسكريةٍ أو اقتصاديةٍ أو أخرى. وعدا عن هَذِهِ الأسباب فقد يختار القائد الدفاع الأمامي حين تزيد الأرض (بما فيها من عوائق طبيعية) من أفضلية القُوَات المدافعة.[2]

في العمق: امتصاص زخم العدو بإجباره على الهجوم مراراً وتكراراً من خلال مواقع الإسناد المتبادل في العمق. والعمقُ يمنحُ للمدافع الوقت اللازم لتوليد نيرانٍ مدمرةٍ بالإسناد النَّارِيّ، ويتيحُ هَذَا الأمرُ أيضاً المزيد من الوقت للقوات المدافعة حَتَّى تردَّ بهجومٍ مضادٍ، كما سيتمكن القائد من جمع المزيد من المعلومات عن نوايا العدو المهاجم قبل أن يكمل مسار عمله؛ وهكذا ستقلُ خطورةُ اختراقِ العدو بسرعةٍ لخطِ الدفاع الرئيسي.[3]

(1) المصدر نفسه، ص 21.

(2) المصدر نفسه، ص 118.

(3) المصدر نفسه، ص 22.

ب- الدفاعُ المتحركُ:

يُركِّزُ على هزيمة أو تدمير العدو عبر السماح لَهُ بالتقدم إلى نقطة يكون معرَّضاً فيها لهجومٍ معاكسٍ حاسمٍ بالقوةِ الضاربةِ. تتكون القوة الضاربة من معظم القوة القتَاليَّة المتوفرة، كما تكمّلُ القوةُ الثابتةُ القوةَ الضاربةَ، حَيْثُ يستخدمُ القائدُ القوةَ الثابتةَ: (1)

1. ليوقف قُوَات العدو المهاجِمة في موقع معين.
2. وللمساعدة على توجيه أرتال قُوَات العدو المهاجمة إلى منطقة الكمائن.
3. والاحتفاظ بالأراضي التي تنطلق منها القوة الضاربة.

ج- الدفاعُ التراجعيُّ:

يمثِّلُ حركةً منظَّمةً ابتعاداً عن العدو. ويمكن تنفيذ التراجع تحت ضغط العدو ويمكن تنفيذه اختياراً، وفي الحالتين فالقائد الأعلى للقوة التي تنفِّذ التراجع هُوَ من يتخذُ القرارَ. إنه تكتيك انتقالي، فلا يُنفَّذُ بمعزلٍ عن غيره، بل هُوَ جزءٌ من مخطط أكبر للمناورة مصمم لاستعادة زمام المبادرة وهزيمة العدو. ولذلك فَهُوَ على ثلاثة أنواع: (2)

العرقلة: هِيَ صورةٌ من صور التراجع تقوم فيها قوةٌ تحت ضغطٍ من العدو بتبديل مواقعها لكسب الوقت عن طريق إبطاء زخم العدو وإيقاع أقصى ضررٍ بِهِ دون أن تصبح -من حَيْثُ المبدأ- بحالة اشتباكٍ حاسمٍ. إنها ترهقُ العدو بِحَيْثُ تستطيعُ القُوَات الصديقةُ استعادةَ زمامِ المبادرةِ عن طريق أعمالٍ هجوميةٍ، أو اكتساب الوقت لتأسيس دفاعٍ فعَّالٍ، أو تحديد نوايا العدو. (3)

(1) المصدر نفسه، ص 22.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه، ص 174.

الانسحاب: إنه أيضاً شكلٌ من أشكال التراجع، تقوم فيه قوةٌ تكون على تماسٍ مع قوةٍ معاديةٍ بفك الاشتباك عِنْدَمَا يتطلب الموقفُ إجراءً سريعاً لإنقاذ الوضع من كارثةٍ محققةٍ، ويحدث هَذَا عادةً بعد انقلابٍ تكتيكيٍّ أو بعد أن تصل الوحدة إلى نقطة الذروة. (1)

الانزواء: تقوم قوةٌ لا يوجد تماسٌ بينها وبين العدو بالتحرك بعيداً عنه. تجهز الوحدة المعتزلة نفسها للقتال، لكنها رغم ذَلِكَ لا تتوقع تدخلَ القُوَات البرية للعدو. عادةً مَا يُجري القائدُ عَمَلِيَّاتِ انزواءٍ لإعادة تموضع قواته للعمليات المُستَقبَلِيَّة أو لتكييفها مع التصور الحالي للعملية. (2)

إضافةً إلى تكتيكات الهجوم والدفاع، تتحدث اللوائح الأمريكيَّة أيضاً عن:

- **تكتيكات تحقيق الاستقرار: التي تستخدم في عَمَلِيَّات السلام، وتأمين المدنيين، والمساعدة في مكافحة الجريمة، واستعراض القوة، وغير ذَلِكَ.**
- **تكتيكات الدعم: وتتضمن إغاثة السكان في حالات الطوارئ، والمساهمة في العَمَلِيَّات الإنسانية.**
- **تكتيكات التمكين: التي تشمل تأمين القُوَات والمنشآت والطرق، والاستطلاع العادي والاستطلاع بالقوة، وتبديل القُوَات، وعبور الأنهار...إلخ**

لَمْ نرد إيرادها هُنَا مفصلة حَتَّى لا نمل القُرَّاء، فَكُلّ مَا أردناه أن نقدم نموذجاً عن العقيدة العَسكَرِيَّة التي تتناول التكتيكات. لذا ينبغي على القادة العسكريين أثناء صياغة عقيدتهم الخاصة، أن ينطلقوا خطوة للأمام، فبعد تحديد نوع الحرب والإِسْتِرَاتِيجِيَّات المناسبة لَهَا، ينبغي

(1) المصدر نفسه، ص 201.

(2) المصدر نفسه.

أيضاً اختيار التكتيكات الفعالة لِهَذِهِ الإِسْتِرَاتِيجِيَّات المعتمدة، ويكون ذَلِكَ من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية؛ في ظل نمط الحرب الحالي والإستراتيجيات المختارة:

- **مَا الأساليب المناسبة للاشتباك مع العدو في حالة الهجوم؟**
- **مَا الأساليب المناسبة للاشتباك مع العدو في حالة الدفاع؟**

مُلَخَّصُ المَبْحَثِ

إن إنهاء العنصر الثاني من العقيدة العَسكَرِيَّة (الفروع الرئيسية) يتطلب تحديد الجَيش لمفهومه الخاص عن أنواع الحرب وإستراتيجياتها وعملياتها وتكتيكاتها، وذَلِكَ من خلال تأمل المنطلقات التي سبق ذكرها والإجابة عن الأسئلة التالية:

المنطلقات	الفروع الرئيسية	الأسئلة
في البيئة الخارجية: 1. الأعداء والتهديدات 2. الجغرافيا 3. الديمغرافيا 4. التقدم التكنولوجي 5. الاعتبارات المدنية. **منطلقات داخلية:** 1. التجارب والخبرة 2. المعتقدات الدينية 3. النظريات 4. السِّيَاسَة الوطنية 5. القُوَات الصديقة والحليفة	نوع الحرب	مَا نوع الحرب التي نخوضها وما هِيَ طبيعتها؟
	إستراتيجيات الحرب	مَا الإِسْتِرَاتِيجِيَّة العَسكَرِيَّة الملائمة التي تحقق لنا النصر في هَذَا النوع من الحروب؟
	عَمَلِيَّات الحرب	كَيْفَ نحدد منطقة العَمَلِيَّات الرئيسية التي تمكننا من تحقيق أهدافنا الإِسْتِرَاتِيجِيَّة؟ وَهَلْ ينبغي تقسيم هَذِهِ المنطقة إلى مناطق العَمَلِيَّات الفرعية (منطقة تأمين، منطقة اشتباك...إلخ)؟ مَا خطوط المَعْرَكَة التي يمكن أن نستخدمها لإرشاد القُوَات في منطقة العَمَلِيَّات؟ وما وظيفة كُلّ واحد منها (انتشار أمامي، اشتباك، تسليم المَعْرَكَة...إلخ)؟ كَيْفَ ينبغي توزيع القُوَات ونشرها في جبهة العَمَلِيَّات؟ كَيْفَ تُوزع وتُنظم مراكز القِيَادَة في جبهة العَمَلِيَّات؟ كَيْفَ نستخدم مواقع المَعْرَكَة في منطقة العَمَلِيَّات؟ وما وظيفة كُلّ موقع منها (أساسي، بديل، إسناد...إلخ)؟ كَيْفَ ينبغي نشر القُوَات وتوزيعها بحسب طبيعة منطقة العَمَلِيَّات؟ كَيْفَ يمكن للقوات المُسَلَّحَة أن تعمل بِشَكْلٍ مشترك رغم اختلال تخصصاتها لتحقيق الهدف العام للحرب؟

	تكتيكات الحرب	مَا الأساليب المناسبة للاشتباك مع العدو في حالة الهجوم؟ مَا الأساليب المناسبة للاشتباك مع العدو في حالة الدفاع؟

الـمَبْحَثُ الثالثُ: الفروعُ الثانويَّةُ

لَمْ أُطلق على هَذَا العنصر من العقيدة اسم "الفروع الثانوية" لِأَنَّهُ يقلُّ أهميةً عما قبله من العناصر، وهَذَا لا يعني أيضاً أنه منفك عن بقية العناصر منفصل عَنْهَا. على العكس تماماً، لا يمكن الحديث عن حروبٍ وإستراتيجياتٍ وتكتيكاتٍ دون مواصلات واتصالات وهندسة عسكرية وما إلى ذَلِكَ. لكنني رأيت أن أجعلها عنصراً أخيراً لأنها عادةً تخضع بِشَكْلٍ أساسي لمستويات الحرب التي قبلها.

بعبارة أخرى، إن طبيعة الإِسْتِرَاتِيجِيَّة والعَمَلِيَّات والتكتيك هِيَ التي تحدد بقية العناصر، فمثلاً تكتيكات مكافحة التمرد التي تهدف إلى فصل المتمردين عن السكان تتطلب نمطاً مميزاً من الاستخبارات والتسليح والتذخير والتوجيه والتعبئة، إلى غير ذَلِكَ من الأنشطة العَسكَرِيَّة التي تعدُّ تابعةً للتكتيك.

عادةً إذا أرادت الجيوش أن تنفذ تكتيكات مرنة تعتمد على الحركة السريعة مثل الإغارة أو الكمين أو العرقلة أو الدفاع في العمق؛ فإن هَذَا سيؤثر على عدة اعتبارات أخرى، فلكي تكون حركة الجيوش سريعة فإنها ستجد نفسها مجبرة على تَنْظِيْم قواتها في وحدات صغيرة وأعداد قليلة، وستكون القِيَادَة متجهة نحو اللامركزية وإطلاق صلاحيات القادة الفرعيين، فاتخاذ القرار سيأخذ وقتاً طويلاً إذا كانت القِيَادَة مركزية، مِمَّا قد يكون سبباً في تعطيل العملية. إضافة إلى هَذَا، إن تطبيق التكتيكات السريعة سيتطلب تسليحاً خفيفاً ومركبات سريعة واستخبارات شاملة ودقيقة وإمداداً محمولاً واتصالاً لا يتوقف بسبب امتداد الطرق، وتمويهاً وتضليلاً فعالاً.

ثُمَّ بعد ذَلِكَ، ينبغي صرف الموارد المالية وتوجيه عَمَلِيَّات التصنيع لإنتاج هَذِهِ الأسلحة والمعدات والمركبات الخفيفة التي تخدم التكتيكات السابقة، كما أن المناهج التدريبية والدراسات

العَسكَرِيَّة ينبغي أن تؤهل الجنود والقادة لتطبيق هَذِهِ التكتيكات دون غيرها، ولابد من تكثيف عَمَلِيَّات التعبئة والتوجيه المعنوي لأن الحركة السريعة والمناورة تحتاج إلى شجاعة وجرأة وشكيمة وعقيدة راسخة، ولا يكون ذَلِكَ إلا بالتحريض والتعبئة.

أما إذا كانت التكتيكات المستخدمة في الحرب تتسم بالثبات والتركيز فإن الأنشطة السابقة معظمها سيتغير معنا، سيتجه التنظيم إلى تركيز القُوَات في وحدات كبيرة وأعداد كثيرة لضمان الحصول على القوة، وستحتاج هَذِهِ القُوَات إلى معدات وأسلحة ومركبات ثقيلة، وستميل القِيَادَة لتصبح أكثر مركزية، وسيكون الاعتماد على التحصين الأرضي والدفاع الجوي لتأمين المواقع الثابتة، وعلى ضوء هَذَا ستُبنى عَمَلِيَّات التمويل والإمداد والتدريب والتصنيع.

> أكبر خطأ يمكن أن تقع فيه الجيوش أن يكون بعض هَذِهِ الأنشطة غير متوافق مع الآخر، فإن رأيت أن التكتيكات المستخدمة تتسم بالحركة والمناورة، ثُمَّ وجدت أن المصانع تنتج أسلحةً ومركبات ثقيلة، فاعلم أن هُنَاكَ مشكلة كبيرة. وإذا وجدت المناهجَ تدرب الجنودَ على التكتيكات الثابتة النظامية، ثُمَّ رأيت تَنْظِيْم القُوَات يميل إلى الوحدات الصغيرة النوعية وغير النظامية، فاعلم أن هَذَا الجَيش يفتقر للعقيدة العَسكَرِيَّة الموحدة.

إن هَذِهِ الاعتبارات تختلف كلياً بحسب نمط التكتيكات المختارة، لِهَذَا السبب يتوجب على القِيَادَة أن توضح في عقيدتها العَسكَرِيَّة الاعتبارات الخاصة بِكُلِّ نوع من أنواع التكتيكات، وكَيْفَ يَجِبُ توظيف التنظيم والاستخبارات والاتصالات والمواصلات والتسليح وما إلى ذَلِكَ لتحقيق الأهداف التكتيكية، وليس لتكون منفصلة عَنْهَا، أو مضادةً لَهَا، وإنك إن رجعت إلى وثائق العقيدة الأمريكيَّة لوجدت أنها توضح بِشَكْلٍ مفصلٍ خطوات تنفيذ كُلّ هدف تكتيكي والإجراءات المناسبة لَهُ والأنشطة المتعلقة بِهِ.

جدول توضيحي: كَيْفَ تتأثر الأنشطة بطبيعة التكتيكات المختارة للمعركة

النشاط	تكتيكات مرنة تعتمد على الحركة السريعة	تكتيكات ثابتة ومركزة
التنظيم	توزيع ونشر القُوَات إلى مجموعات صغيرة ذات أعداد قليلة لضمان السرعة	تركيز القُوَات في مجموعات ووحدات كبيرة ذات أعداد كثيرة لضمان القوة
القِيَادَة والتحكم	تميل إلى اللامركزية وإتاحة المجال للقيادة الفرعية في اتخاذ القرار	تميل إلى المركزية وتحديد صلاحيات القادة الفرعيين
التسليح	تسليح ومعدات خفيفة لتسهيل الحركة	تسليح ومعدات ثقيلة لتوفير القوة
الهندسة	الاعتماد على التمويه والموانع الطبيعية	الاعتماد على العوائق الصناعية والتحصين
الإمداد	إمداد محمول وخفيف	طرق ومراكز إمداد كثيرة
الاستخبارات	مكثفة وشاملة ودقيقة حول كُلّ ساحة العَمَلِيَّات	يكفي أن تركز على جبهة المَعْرَكَة
التوجيه والتعبئة	حث الجنود على الإقدام والتضحية	حث الجنود على الثبات والصمود
الاتصالات	خطوط اتصالات ممتدة لتسهيل نطاق الحركة	خطوط اتصالات يكفي أن تشمل منطقة المَعْرَكَة
التدريب	تدريب القُوَات على التكتيكات المرنة والأسلحة الخفيفة	تدريب القُوَات على التكتيكات الثابتة والأسلحة الثقيلة
التصنيع	إنتاج المعدات والمركبات والأسلحة والذخائر الخفيفة والدقيقة	إنتاج المعدات والمركبات والأسلحة والذخائر الثقيلة والتدميرية
التمويل	جعل الأولوية في التمويل لأنشطة التكتيكات المرنة	جعل الأولوية في التمويل لأنشطة التكتيكات الثابتة

مُلَخَّصُ المَبْحَثِ

إن إنهاء العنصر الثالث من العقيدة العَسكَرِيَّة (الفروع الثانوية) يتطلب تحديد الجَيش لطبيعة الأنشطة المستخدمة في كُلّ تكتيك من التكتيكات المختارة، وذَلِكَ من خلال الارتكاز على الفروع الرئيسية التي سبق ذكرها، وتأمل المنطلقات والإجابة عن الأسئلة التالية:

المنطلقات	الفروع الثانوية	الأسئلة
الفروع الرئيسية: 1. نوع الحرب 2. الإِسْتِرَاتِيجِيَّات 3. العَمَلِيَّات 4. التكتيكات منطلقات خارجية: 1. الأعداء والتهديدات 2. الجغرافيا 3. الديمغرافيا 4. التقدم التكنولوجي 5. الاعتبارات المدنية منطلقات داخلية: 1. التجارب والخبرة 2. المعتقدات الدينية 3. النظريات 4. السِّيَاسَة الوطنية 5. القُوَات الصديقة والحليفة	التنظيم	كَيْفَ ينبغي أن يكون تقسيم وحجم الوحدات العَسكَرِيَّة؟
	القِيَادَة والتحكم	مَا آلية اتخاذ القرار في مختلف الرتب التنظيمية في الجَيش؟
	التسليح	مَا الأسلحة والمعدات المناسبة لتحقيق الأهداف التكتيكية؟
	الهندسة	مَا التحصينات الطبيعية والصناعية المناسبة لِكُلِّ تكتيك؟
	الإمداد	كَيْفَ ينبغي أن تكون آلية الإخلاء والإمداد؟
	الاستخبارات	من أَيْنَ نحصل على المعلومات الاستخبارية؟ وحول مَاذَا؟ وكَيْفَ نستفيد منها؟
	التوجيه والتعبئة	مَا المواضيع الأَسَاسِيَّة لتعبئة الجنود؟
	الاتصالات	كَيْفَ نبني شبكة الاتصالات لتوافق طبيعة التكتيك المستخدم؟
	التدريب	مَا المناهج العَسكَرِيَّة المناسبة لتدريب القادة والجنود؟
	التصنيع	مَا الأسلحة والذخائر والمعدات المناسبة التي يتوجب إنتاجها؟
	التمويل	أَيْنَ يَجِبُ أن تنفق الأموال؟ مَا الأولى فالأولى؟

خاتمةُ الفَصْل

أجد نفسي في نهاية هَذَا الفَصْل ملزماً بتقديم مجموعة من الملاحظات التي لا غنى عَنْهَا لإتمام الفائدة:

أولاً: إن تقسيمي العقيدة إلى أساسيات وفروع رئيسية وفروع ثانوية لا يعني أبداً أن ترتيب هَذِهِ العناصر شرطٌ أساسي. فرغم أنه الأحب إليَّ والأكثر فائدةً بنظري، إلا أنه يمكن للقوة العَسكَرِيَّة أن تبدأ في تكوين عقيدتها العَسكَرِيَّة من حَيْثُ شاءت، أو فلنقل من حَيْثُ رأت الأولوية. لكن البداية باعتماد التكتيكات قبل الإِسْتِرَاتِيجِيَّات ونمط الحرب قد يوقع الجَيش في أخطاء قاتلة سبق التنبيه عَلَيْهَا.

ثانياً: عدم وجود هَذِهِ العناصر مكتوبة وموثقة لا يعني أنها معدومة، فقد يكون وجودها عرفياً بين القُوَات المُسَلَّحَة، حَتَّى أنه قد يصبح عقيدة حكميةً يلتزم بِهَا الأفراد دون وجود نصوص مكتوبة لَهَا، لكننا نذهب إلى ضرورة تدوينها وكتابتها فإن ذَلِكَ أدعى إلى تحقيق مقاصد العقيدة وآثارها: (التعلم والفهم والتعميم...).[1]

ثالثاً: إن إيجاد العقيدة العسكرية لا يمكن أن يحصل عفواً واعتباطاً، إذ لا بد أن تتوفر الظروف الداخلية والمقومات اللازمة للقيام بهذه العملية، ولا بد أن تكون المؤسسة العسكرية مستعدةً لذلك على الصعيد النفسي من حيث وجود القناعة بين القادة بأهمية العقيدة العسكرية ومزاياها وضرورة تدوينها، فهم إن كانوا يجهلونها أو يزدرونها أو يعتبرونها غير مهمة فكيف نتوقَّع منهم أن يكوِّنوها؟! ولا بد أن أيضاً أن تكون هناك استعدادات مسبقة على الصعيد المؤسسي، فلإيجاد العقيدة العسكرية يحتاج الجيش أن يُوجِد أولاً المؤسسات القادرة على ذلك، مثل مراكز الأرشفة التي توثق العمليات العسكرية للاستفادة منها فيما بعد، ومراكز الأبحاث

(1) Harald Høiback, Understanding Military Doctrine, A multidisciplinary approach Cass Military Studies, Routledge, London–New York, 2013, p 24.

التي تحللها، ومراكز التدريب التي ستلقنها للقادة والجنود، وما شابه ذلك من المؤسسات البحثية والتعليمية.[1]

رابعاً: يمكن أن تكون صيغ النصوص العقدية مختلفة من حَيْثُ إحكامها، فمنها مَا يكون عاماً جداً يحتاج تطبيقها إلى اجتهاد وحكمة وخبرة واسعة، مثل المبادئ والإِسْتِرَاتِيجِيَّات، ومنها مَا يكون حاسماً ومفصلاً ينبغي تطبيقه بحذافيره دون أي نوع من الاجتهاد، مثل الرموز والمصطلحات، ومنها مَا بين هَذَا وذاك، يوجد فيه خطوات مفصلة لكن مع إتاحة شيء من الاجتهاد للقائد، مثل خطوات تنفيذ التكتيكات.

خامساً: إن الإجابة عن الأسئلة المذكورة آنفاً يحتاج أولاً تحديداً دقيقاً للمنطلقات التي تتعلق بساحة الحرب، وَهِيَ عَمَلِيَّة صعبة يمكن لمراكز الدراسات والأبحاث أن تساهم فيها بحكم قدرتها على التوصيف والتحليل، ثُمَّ بعد ذَلِكَ لابد من إجراء تشاورات واسعة على مستوى القِيَادَة قبل الإجابة على كُلّ سؤال، فإن هَذِهِ القضايا حساسة وسيادية ولا ينبغي الاستعجال بالفَصْل فيها، ويمكن لِهَذِهِ الجلسات أن تأخذ شكل ندوات حوارية، يشارك فيها قادة من الرتب العليا فما دونها، يَتُمُّ حفظُ مخرجاتها دورياً، لتكوِّن شيئاً فشيئاً نصوص العقيدة العَسكَرِيَّة التي نسعى إليها.

سادساً: اتساع تعاليم العقيدة من عدمه يعتمد على فلسفة القيادة، فكلما كانت القيادة العليا مركزية والمهمَّةُ ضيِّقة؛ كان القادة من الدرجة الأدنى أقلَّ إبداعاً ومبادرةً وفي حاجةٍ ماسة للأوامر الدَّورية وحاجةٍ أقل للعقائد. في المقابل؛ كلما اتسعت دائرة المهام والصلاحيات أمام القادة الأدنى؛ زاد اعتمادهم على إبداعهم واجتهادهم وصاروا أكثر مرونةً وحركة، واستندوا أكثر على كتيبات العقائد التي يجب أن تكون غزيرةً في هذه الحالة.

(1) الدكتور محمد بريك، محاورات رمضانية في الاستراتيجية، العقيدة القتالية، مقطع مرئي على منصة يوتيوب، 2020.

الخاتمة

في الختام، يمكن أن نجمع الأفكار التي خَلُصَ إليها البَحْث -للإجابة عن الإشكالية التي طرحتها المقدمة- في الفقرات التالية:

تعريفُ العقيدة العَسكَرِيَّة:

☒ إن العقيدة العَسكَرِيَّة هِيَ مجموعة الأفكار والنظريات التي تمت تجربتها وثبتت فاعليتها في الحرب وجرى اعتمادها بِشَكْلٍ رسمي، لتصبح عبارة عن إرشادات وأدلة وأساسيات تتناقلها الأجيال وينطلق منها الجَيش لخوض الحرب وتحقيق النصر.

خصائصُهَا:

☒ إنها مزيج بين العلم والفن، بين المعرفة والإبداع، بين دروس الماضي وصراع الحاضر وفرص المستقبل، ولأنها كذلك؛ فلا يمكن تطبيقها حرفياً، كما لا يصح إطلاق يد المجتهدين فيها. إنها تواكب التغيرات في الحرب -والحرب من طبعها التقلب والتبدل- لكنها في المقابل تحافظ على ثباتها نسبياً، بل إن إقامتها تقتضي المزج بين الانضباط والحكمة، وَهِيَ من جهة أخرى ترشد الخطط والتدابير العَسكَرِيَّة وليست بديلاً عَنْهَا.

فوائدُهَا:

☒ تقدم العقيدة العَسكَرِيَّة للقوات المُسَلَّحَة منطلقاً مشتركاً لفهم طبيعة الصراع الحالي، وتصنع لغةً موحدةً تسهِّل عَمَلِيَّة التواصل والإرشاد والتوجيه، كما أنها تضع بين أيدينا دليلاً واضحاً لاستخدام القوة بطريقة صحيحة، وإن هَذِهِ الخصائص لتعزز فاعلية الأفراد وتساعدهم على الإبداع والمبادرة.

منطلقاتُهَا:

☒ تمرُّ صياغة العقيدة العَسكَرِيَّة بعملية معقدة من التأثيرات المختلفة، إذ لن تكون مجديةً دون استقصاء شامل لمجموعة من المدخلات المتغيرة على مستوى البيئة الخارجية والداخلية، إنها ترتكز أساساً على تحليل عميق لطبائع الأعداء والتهديدات المتوقعة، وطبيعة التضاريس والمناخ والتوزع السكاني والديمغرافي، والتقدم التكنولوجي، وتوزع البنى التحتية والثقافة المحلية. إضافة إلى النظر في عوامل داخلية أخرى، مثل التراث التاريخي للأمة والمعتقدات الدينية والنظريات العلمية الحديثة والسِّيَاسَة الحكومية وطبيعة القُوَات الصديقة والحليفة. فَكُلّ هَذَا لَهُ أثر مباشر في طريقة خوض الحرب.

تكوينُهَا:

☒ أما عن تكوينها وعناصرها؛ فيمكن تقسيم العقيدة العَسكَرِيَّة إلى ثلاثة عناصر: الأساسيات، الفروع الرئيسية ثُمَّ الفروع الثانوية، وتحصل صياغتها بالإجابة عن الأسئلة المتعلقة بِكُلِّ عنصر من هَذِهِ العناصر، ثُمَّ إن هَذِهِ الإجابات عِنْدَمَا تتركب مع بعضها البعض ستشكل العقيدة العَسكَرِيَّة لقواتنا المُسَلَّحَة.

وهَذَا باختصار مَا أردتُ تقديمه في هَذَا الكتيِّب، فأرجو أن يكون هَذَا الجهد المتواضع مفيداً لنخب الأمة وقادتها، وأسأل الله ﷻ أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

ملحق: مُلَخَّصٌ تَنْفِيذِيٌّ

أُعِدَّ هَذَا الملخص ليقدم لمحة موجزةً عن البَحْث، وليكون مادةً مختصرةً تصلح لشرح الكتاب في الندوات والملتقيات الجماعية، إذ يمكن وضع هَذِهِ المحاور في شرائح عرض وإلقاؤها في محاضرات شفهية.

مَا العقيدة العَسكَرِيَّةُ في اللغةِ؟

التعاليمُ والأسسُ التي يضعها العلماء العسكريون حول خوض الحرب بطريقةٍ صحيحةٍ، ويتمُّ تدريسها وتلقينها لعناصرِ الجَيش.

مَا العقيدة العَسكَرِيَّةُ في الاصطلاحِ؟

مجموعةُ التعاليمِ العَسكَرِيَّةِ التي أثبتت التجاربُ صحتَهَا، فتمَّ اعتمادها بِشَكْلٍ رسمي وملزمٍ من قِبَلِ القُوَاتِ المُسَلَّحَةِ، لتصبحَ عبارةً عن إرشادات وأدلة وأساسيات مُـحْـكَمةٍ ينطلقُ منها الجَيش لخوضِ الحرب وتحقيقِ النصرِ.

مَا يدخلُ في العقيدة العَسكَرِيَّةِ:

الأساسيات	الفروع الرئيسية	الفروع الثانوية
فلسفة الحرب مبادئ الحرب قيم الحرب (العقيدة القتالية) قوانين الحرب الرموز والمصطلحات	نوع الحرب الإسْتِرَاتِيجِيَّات العَسكَرِيَّة العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة التكتيكات العَسكَرِيَّة	التنظيم - القِيَادَة والتحكم التسليح - الهندسة الإمداد - الاستخبارات التوجيه والتعبئة الاتصالات - التدريب التصنيع - التمويل

مَا ليسَ عقيدة عَسْكَرِيَّةً:

1. الخطط لأنها محددة بمؤشرات زمنية وكمية.
2. النظريات لأنها مازالت لَمْ تثبت جدواها وصحتها.
3. السياسات لأنها توجيهات تأتي من حكومة البلاد.

خصائصُ العقيدة العَسكَرِيَّةِ:

1. ترجَّحت جدواها وفاعليتها بعد التجربة والتقويم والنقد.
2. اعتُمِدَتْ رسمياً من قبل القِيَادَة العَسكَرِيَّة وأصبحت جزءاً من النظام العام.
3. مزيج بين العلم والفن، وبين المعرفة والإبداع.
4. اجتهادية وليست حَرفية، يعتمد تطبيقها على الخبرة والحكمة.
5. تؤطر الخطط وترشدها وليست بديلاً عَنْهَا.
6. تأخذ وقتاً وزمناً طويلاً لتتبلورَ وتتكوَّنَ.
7. تواكب التغيرات لكنها رغم ذَلِكَ ثابتةٌ نسبياً.
8. تتركَّب من أبعاد فكرية وعلمية وتنبُّئية.

مَاذَا نستفيدُ من وجودِ العقيدة العَسكَرِيَّةِ؟

1. تشكل منطلقاً لفهم طبيعة الصراع المُسَلح.
2. تقدم دليلاً لاستخدام القُوَات المُسَلَّحَة في الحرب.
3. تشكل أرضيةً ثقافيةً مشتركةً لأعضاءِ الجَيش.
4. تعزز فاعلية وتأثير القُوَاتِ المُسَلَّحَةِ.
5. تساعد القادة والجنود على الإبداع والمبادرة.
6. تصنعُ لغةً مشتركةً بين القُوَاتِ العَسكَرِيَّةِ.

من أَيْنَ ننطلقُ في صياغةِ العقيدة العَسكَرِيَّةِ؟

منطلقات في البيئة الخارجية	منطلقات داخلية
الأعداء والتهديدات.	التجارب السابقة والخبرة.
الجغرافيا.	النظريات العلمية والفكرية.
الديمغرافيا.	المعتقدات الدينية.
التقدم التكنولوجي.	السِّيَاسَة الوطنية.
الاعتبارات المدنية.	طبيعة القُوَات الصديقة والحليفة.

كَيْفَ نكوِّنُ العقيدة العَسكَرِيَّةَ؟

1. تحديد المنطلقات في البيئة الداخلية والخارجية لقواتنا المُسَلَّحَة.
2. استناداً للمنطلقات يَتُمُّ الإجابة عن الأسئلة الواردة في الفَصْل الأخير حول:

أ) الأساسيات.

ب) الفروع الرئيسية.

ت) الفروع الثانوية.

المراجع

المراجع العربية:

1. أحمد حسن محمد حسين، العقيدة العَسكَرِيَّة الإسلامية "دراسة ومنهج ومقارنة"، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الأولى 1419هـ ـ 1998م.
2. أحمد ناصيف، فن الحرب، دار الكاتب العربي، الطبعة الأولى 2010.
3. العَمَلِيَّات الهجومية "القسم الثاني من منهاج التكتيكات الأَمْرِيْكِيّ (FM 3-90)" ترجمة مركز الخطابي للدراسات 2021 ـ 2022.
4. العَمَلِيَّات الدفاعية "القسم الثالث من منهاج التكتيكات الأَمْرِيْكِيّ (FM 3-90)"، ترجمة مركز الخطابي للدراسات، 2021 ـ 2022.
5. بيرت تشايمان، العقيدة العَسكَرِيَّة "دليل مرجعي"، ترجمة طلعت الشايب، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى 2015م.
6. دارا ماسيكوت، توقعات بشأن العقيدة العَسكَرِيَّة الرُّوسِيَّة الجديدة 2020، ترجمة مركز نورس للدراسات.
7. ديفيد جابلونسكي، العقيدة العَسكَرِيَّة الأمريكيَّة والثَّورَة في الشؤون العَسكَرِيَّة، 1994م.
8. ديفيد جاليولا، حرب مكافحة التمرد، النظرية والتطبيق، ترجمة مركز الخطابي للدراسات، 2023.
9. دليل الميدان للجيش الأَمْرِيْكِيّ (24 - 3)، مكافحة التمرد، ديفيد باتريوس وجيمس أموس، ترجمة أحمد مولانا، مركز تنمية الفكر الإِسْتِرَاتِيجِيّ، 2019.
10. ديفيد جاليولا، مكافحة التمرد بين النظرية والتطبيق، ترجمة مركز الخطابي للدراسات 2023.

11. حسن سلمان خليفة البيضاني، تحديد المعالم العامة للعقيدة العَسكَرِيَّة العراقية على ضوء المستجدات الإقليمية والدولية بعد دحر داعش، مركز حراب للدراسات والبحوث، العدد 36 خريف 2020.

12. طارق محمود شكري، العقيدة العَسكَرِيَّة وتطوراتها، الذاكرة، الطبعة الأولى، 2016م ـ 1437هـ.

13. ياسين سويد، الفن العَسكَرِيّ الإسلامي "أصولُه ومصادرُه"، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية 1990م ـ 1411هـ.

14. كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة العربية الأولى 1997م.

15. مارتن ديمبسي جنرال بالجيش الأَمْرِيْكِيّ، المنشورالمشترك1، عقيدة القُوَات المُسَلَّحَة للولايا ت المتحدة، 25 مارس 2013 دمج التغيير 1 ،12 يوليو م2017.

16. منير شفيق، الإِسْتِرَاتِيجِيَّة والتكتيك في فن علم الحرب من السيف والدروع إلى الصاروخ والأنفاق، الدار العربية للعلوم والنشر، الطبعة الأولى 1428هـ ـ 2008م.

17. محمد جمال الدين علي محفوظ، النظرية الإسلامية في العقيدة العَسكَرِيَّة، دار الاعتصام، القاهرة.

18. محمد فتحي أمين، موسوعة أنواع الحروب، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى كانون الثاني 2006م.

19. مركز الخطابي للدراسات، الاحتلال بين النظرية والتطبيق "عوامل قوة عَمَلِيَّات مكافحة التمرد الأمريكيَّة، وجدوى هَذِهِ العوامل في أفغانستان بين 2001 و2020، سنة النشر 2020م.

20. مركز الخطابي للدراسات، الدفاع في الحرب الثَّوْرِيَّة "مدخل إلى مبادئ الدفاع وأنواعه وعوامل قوته وإجراءات السيطرة فيه خلال الحرب الثَّوْرِيَّة، سنة النشر2021م.

21. محمود شيت خطاب، العَسكَرِيَّة العربية الإسلامية "عقيدة وتاريخاً وقادةً وتراثاً ولغة وسلاحاً، سلسلة فصيلة، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، الطبعة الأولى 1403هـ.

22. سن أتزو، فن الحرب، إعداد أحمد ناصيف، دار الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الأولى، 2010.

23. سيث جونز، نشوب الثَّورَة المُسَلَّحَة "دروس من الفيت كونغ وصولاً إلى تَنْظِيْم الدولة الإسلامية، ترجمة مركز الخطابي للدراسات 2020.

24. عبد الله بن عمر بالبيد، حقوق المقاتل في الحرب والجهود الدولية في تعزيزها، دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، جامعة الإمام محمد بن سعود.

25. عبد الرحمن حسن الشهري، تطور العقائد والإِسْتِرَاتِيجِيَّات العَسكَرِيَّة، مكتبة الملك فهد، السعودية، الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2003.

26. نزار إسماعيل الحيالي وعمار حميد ياسين، قراءة في المذهب العَسكَرِيّ الرُّوسِيّ بين الماضي والحاضر، دراسات دولية، العدد السادس والخمسون.

27. عبد السلام حمود غالب الأنسي، مفهوم الحرب في الفقه والقانون، مجلة الفقه والقانون العدد التاسع، يوليو 2013.

28. رفيق أبو هاني، مفهوم العقيدة العَسكَرِيَّة وحكمها ومصادرها، المعهد المصري للدراسات، 22 أغسطس 2022.

29. ضو مفتاح غمق، نظرية الحرب في الإسلام وأثرها في القانون الدولي العام، مكتب الإعلام والبحوث والنشر بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الطبعة الأولى 1426هـ.

المراجع الأجنبية:

1. A Primer on Doctrine; Curtis E Lemay centre.
2. Directorate of Doctrine Training and Doctrine Division HQ Integrated Defense staff; New Delhi A Premier to Understanding the Military Doctrine; September 2018.
3. Dr. Aaron P. Jackson; The Roots of Military Doctrine Change and Continuity in Understanding the Practice of Warfare; Combat Studies Institute Press US Army Combined Arms Center Fort Leavenworth, Kansas; first ed; 2013.
4. Doctrine, MG (ret) Kees Homan.
5. Joint Staff; Joint Doctrine Development Process;29 December 2014.
6. Harald Høiback, Understanding Military Doctrine, A multidisciplinary approach, Cass Military Studies, Routledge, London–New York, 2013.
7. Headquarters Department of the Army Washington DC; FM 3-90 Tactics; 4July 2001.
8. US Department of Defence; Operation Assessment; Air Land Sea Application Centre; August 2015.
9. US Department of Defence; Command Post Organization and Operation ATP6.0.5; March 2017.
10. US Department of the Army; FM6-27 MCTP 11-10C the Commander's Handbook on the law of Land Warfare; August 2019.
11. US Department of the Army; ADP 1-01 Doctrine Primer; July 2019.
12. US Department of the Army; ADP1 the Army; July 2019.
13. US Department of the Army; ADP1-02 Terms and Military Symbols; August 2018.
14. US Department of State; JOINT MILITARY SYMBOLOGY; 17 NOVEMBER 2008.
15. US Department of Defense; Doctrine for the Armed Forces of the United States; Joint Publication; 25 March 2013 Incorporating Change 1 12 July 2017.
16. US Department of The Army; FM 3-0 Operations; October 2022.

17. Office of General Counsel Department of Defense; Department of Defense Law of War Manual; June 2015(updated December 2016).
18. Ministry of Defense; Developing Joint Doctrine Handbook; 4th ed; November 2013.

الفهرس

مقدمة 7

ما معنى "عقيدة عَسْكَرِيةٌ"؟

الـمَبْحَثُ الأولُ: المفهومُ اللغويُّ 16

الـمَبْحَثُ الثاني: المفهومُ الاصطلاحيُّ 17

تعريفاتٌ سائدةٌ 18

مناقشةُ المفاهيمِ السائدةِ 20

المدارسُ التي تناولَتْ مفهومَ العقيدة 25

التعريفُ الاصطلاحيُّ المعتمدُ في البَحْثِ 28

الـمَبْحَثُ الثالثُ: العقيدة في التفكيرِ العَسكَرِيِّ 29

موقع العقيدة في التفكير العَسكَرِيّ 31

مَا خصائصُهَا وفوائدُهَا؟

المَبْحَث الأول: الخَصَائِصُ 36

ترجَّحت جدواها وفعاليتُها 38

تَمَّ اعتمادُهَا رسمياً 39

مزيجٌ بينَ العلمِ والفنِّ 40

اجتهادية وليست حَرفية 41

تؤطِّرُ الخططَ وليست بديلاً عَنْهَا 43

تأخذُ وقتاً لتتشكلَ 44

تواكبُ التغيراتِ لكن ذات ثباتٍ نسبي 47

تتشكلُ من أبعادٍ فكريةٍ وعَمَلِيَّةٍ وتنبئيةٍ 49

الـمَبْحَثُ الثاني: الفوائدُ 50

تشكلُ منطلقاً لفهمِ طبيعةِ الصراعِ 51

تصنعُ لغةً موحَّدةً..... 53
تقدِّم دليلاً لاستخدامِ القُوَاتِ المُسَلَّحَةِ..... 54
تشكِّل أرضيةً ثقافيةً مشتركةً..... 56
تعزِّزُ الفاعليَّةَ..... 57
تساعدُ على الإبداعِ وتشجعُ على المبادرةِ..... 58

من أَيْنَ تَنْطَلِقُ العقيدة؟

الـمَبْحَثُ الأولُ: منطلقاتٌ في البيئةِ الخارجيَّةِ 64
الأعداءُ والتهديداتُ..... 65
الجغرافيا..... 68
الديمغرافيا..... 71
التقدمُ التكنولوجيُّ..... 74
الاعتباراتُ المدنيَّةُ..... 76
الـمَبْحَثُ الثاني: منطلقاتٌ داخليةٌ..... 79
التجارب والخبرة..... 80
النظرياتُ..... 83
المعتقداتُ الدينيةُ..... 85
السُّلطة الوطنية..... 87
القُوَاتُ الصديقةُ والحليفةُ..... 89
ختاماً..... 91

كَيْفَ تَتَكَوَّنُ العقيدة؟

المَبْحَث الأول: الأساسيات 97
فلسفةُ الحرب..... 98
مبادئُ الحرب..... 103
قيمُ الحرب..... 105
قوانينُ الحرب..... 109

الرموزُ والمصطلحاتُ.....111
مُلَخَّصُ المَبْحَثِ.....114
المَبْحَث الثاني: الفروعُ الرئيسيَّةُ 116
نوعُ الحرب.....117
الإِسْتِرَاتِيجِيَّاتُ العَسكَرِيَّةُ.....121
العَمَلِيَّاتُ العَسكَرِيَّةُ.....124
التكتيكاتُ العَسكَرِيَّةُ.....126
مُلَخَّصُ المَبْحَثِ.....134
الـمَبْحَثُ الثالثُ: الفروعُ الثانويَّةُ 136
مُلَخَّصُ المَبْحَثِ.....139
خاتمةُ الفَصْل..... 140

الخاتمة

ملحق: مُلَخَّصٌ تَنْفِيذِيٌّ..... 144
المراجع 147

عَنْ مَرْكَزِ الخَطَّابِيِّ

هُوَ مركزُ دراساتٍ وأبحاثٍ مختصٌ في علومِ وفنونِ الحروبِ الثَّوْرِيَّة، تَمَّ إنشاؤهُ في إدلب-سوريا سنة 2019. يسعى مركز الخطابي إلى إيجادِ مراجعَ شاملةٍ تتناولُ مبادئ وإستراتيجياتِ وتكتيكاتِ الحروبِ الثَّوْرِيَّة، لتلبيةِ حاجةِ الثُّوَارِ التَّدريبيَّةِ والبحثيَّةِ، كما يَهدِفُ إلى توفيرِ مصادرَ علميَّةٍ وافيةٍ عن الفنونِ السِّيَاسِيَّة والعَسكَرِيَّة والاجتماعيَّةِ التي يحتاجُهَا الثُّوَارُ في العالمِ العربيِّ والإسلاميِّ، وذَلِكَ من خلالِ التحليلِ الدقيقِ والتقييمِ العلميِّ لتاريخِ أَهَمِّ الثَّورَاتِ السابقةِ، وتقديمِ التوجيهاتِ والتحليلاتِ الدقيقةِ التي تحتاجُهَا النُّخَبُ الثَّوْرِيَّة حولَ أَهَمِّ النوازلِ المعاصرةِ، والأرشفةِ الشاملةِ عن أحداثِ الثَّورَةِ السوريَّةِ على المستوى العَسكَرِيِّ والسِّيَاسِيِّ والاجتماعيِّ.

ومنذُ نشأتِهِ، قدَّمَ الخطَّابيُّ لمتابعيهِ أكثرَ من عشرين مادةً علميَّةً.

أَهَمُّ المؤلفاتِ والكتبِ:

1. الخطَّابي، مُلهِم الثورات المُسَلَّحَة، ثورة الريف الثالثة (1921 – 1926م): السياق التاريخي والأبعاد السِّيَاسِيَّة والعَسكَرِيَّة والاجتماعية.
2. لمحةٍ عن المسارِ السِّيَاسِيّ لآلِ سعودٍ في الدولة الثالثة.
3. "أستانا"، مسارُ القضاءِ على الثَّورَة السورية.
4. الاحتلالِ بين النظريَّةِ والتطبيقِ، عواملُ قوةِ عَمَلِيَّات مكافحةِ التمردِ الأمريكيَّة، وجدوى هَذِهِ العوامل في أفغانستان بين 2001 و2020.
5. انتفاضةِ الصحراءِ، الثَّورَة الليبيَّةُ 1911 – 1931 وأبعادُها السِّيَاسِيَّة والاجتماعيَّةُ والعَسكَرِيَّة.
6. التجنيد الاستخباري؛ دوافعه، مراحله، مخاطره.
7. الدفاع في الحرب الثَّوْرِيَّة؛ مدخل إلى مبادئ الدفاع وأنواعه وعوامل قوته وإجراءات السيطرة فيه خلال الحرب الثَّوْرِيَّة.
8. الصلحُ في الشريعةِ وتطبيقاتُهُ في الثَّورَةِ السوريةِ، إدلب نموذجاً.

أَهَمُّ الترجماتِ:

1. نشوبُ الثَّورَة المُسَلَّحَة، دروسٌ من الفيت كونغ وصولاً إلى الدولةِ الإسلاميَّةِ، تأليف سيث جونز.
2. تكتيكاتُ طالبان جنوبَ أفغانستان بين 2005 و2008، تأليف كارتر مالكاسيان وجيري ميرلي.
3. الجانبِ الآخرِ من الجبلِ، تكتيكاتُ المجاهدين في الحرب الأفغانيَّةِ السوفييتيَّةِ، تأليفُ أحمد جلالي ولستر غراو.
4. مكافحةُ الانقلابِ، لجين شارب وبروس جينكيز.

5. من الدولةِ العميقةِ إلى تَنْظِيْم الدولةِ الإسلاميَّةِ، الثَّورَة العربيَّةُ المضادةُ وموروثها الجهادي، لجان بيير فيليو.
6. ردع الأعداء داخل البلاد وخارجها، كَيْفَ تصبح ضابط استخبارات، ويليام جونسون.
7. الملا عمر وطالبان أفغانستان، مذكرات الملا مطمئن الناطق الرَّسْمِيّ للملا عمر، ترجمة أحمد مولانا وأنس خضر.

يُشَرِّفُنَا اطِّلاعُكَ على أرشيفِ المركزِ أو التواصلِ معَنَا على المواقعِ الرَّسْمِيَّةِ التاليَّةِ:

- الويب: (https://alkhattabirw.com/)
- الفايسبوك: (http://fb.me/alkhattabirw1)
- التويتر: (https://twitter.com/alkhattabirw)
- التلغرام: (https://t.me/alkhattabirw)

يكاد يكون هَذَا الكتاب المرجع العربي الوحيد الَّذِي يحدد مفهوماً واضحاً ومنضبطاً للعقيدة العَسكَرِيَّة، فيرفع عَنْهَا الالتباس والإبهام والغموض الَّذِي أحاط بِهَا، ويقدم نموذجاً عملياً قابلاً للتطبيق، تنطلق منه القوى الثَّوْرِيَّة لفهم هَذَا المصطلح أولاً، وتدريسه وتعليمه ثانياً، وصياغة عقائدها العَسكَرِيَّة ثالثاً، وَهُوَ الأثر الأهم الَّذِي نسعى إليه.

مركز الخطابي للدراسات

alkhattabirw